جامعة الأزهر
كلية القرآن الكريم
للقراءات وعلومها ـ بطنطا

تغاير القراءات المتواترة بين الاستفهام والإخبار

وأثره في بيان المعنى

تأليف
د/عبد الكريم إبراهيم عوض صالح
الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ...

أما بعد ...

فمعلوم أن القرآن الكريم بقراءاته منبع الهداية ومصدر كل العلوم، فهو الوحي الإلهي الذي لم ينله تحريف ولم يتطرق إليه تبديل، وعليه فالعلم بالقراءات القرآنية أصل في العلم بكل معلوم، وذلك أنها تفتح المجالات الوسيعة للبحث في شتى العلوم والمعارف، فلا غنى للمفسر عنها؛ حيث إن تعدد القراءات يكسب التفسير خصوبة وعمقاً، ولا غنى للفقيه عنها حيث يستنبط منها الأحكام، أو يرجح بها حكماً على آخر، ولا غنى لعالم اللغة عنها ... وهكذا يُفتح الباب لعطاء لا ينفد في التفسير والأحكام واللغة... إلى غير ذلك.

وإن من مزايا اللغة العربية ــ لغة القرآن الكريم ــ دقة التصرف في التعبير واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض، ومعلوم أن الجملة في التراكيب العربية إما خبر وإما إنشاء ولا ثالث لهما، فإن قصد مطابقة الجملة للواقع الخارجي صدقاً أو كذباً كانت الجملة (خبرية) وإن لم يقصد تلك المطابقة كانت الجملة حينئذ (إنشائية) **فالخبر**: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، والتقييد بذاته مدخل للنصوص القرآنية وللأحاديث النبوية، إذ تكون أخباراً بصرف النظر عن القائل.

وأما الإنشاء فعلى العكس مما تقدم فهو ما لا يحتمل الصدق والكذب وهو نوعان: إنشاء طلبي ــ وإنشاء غير طلبي ــ .

التمهيـــد:

وفيه ما يلي:

- مفهوم القراءات .
- مفهوم الاستفهام.
- مفهوم الإخبار .
- أدوات الاستفهام وأقسامها بحسب الطلب .
- أغراض الاستفهام ودلالاته .

المبحث الأول : «تغاير القراءات بين الاستفهام والإخبار» .

المبحث الثاني : «الاستفهام المكرر» .

والخاتمة تتضمن نتائج البحث:

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

مفهوم القراءات

١- في اللغة:

القراءات: جمع قراءة مصدر سماعي من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، واسم الفاعل منه قاريء وجمعه قراء، وتطلق القراءة في لسان العرب ويراد بها معان عدة، فمن ذلك :

رؤية الدم، يقال: قرأت المرأة، أي رأت الدم، وأقرأت صارت ذات قرء، والقرء أيضاً الطهر، فهو اسم جامع للأمرين: الطهر والحيض .

وتطلق ويراد بها الجمع، يقال: قرأت القرآن، أي لفظت به مجموعاً، أي ألقيته، ومنه ألقى الخطيب الخطبة .

ومنها الضم: أي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، يقال: قرأت الشيء قرآناً، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧] أي قراءته .

والمقصود بالقراءة في مثل هذا المقام اسم مفعول بمعنى وجه مقروء به[١] .

٢- في الاصطلاح:

هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مَعْزُوّاً لناقله[٢] .

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ص٤٠١ ــ ٤٠٢ بتصرف ط/ مصطفى البابي الحلبي ومختار الصحاح للرازي ص٥٢٦ ط/ الرسالة ــ الكويت، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ٤٢١/١ ط دار إحياء الكتب العربية ــ فيصل عيسى البابي الحلبي .

(٢) منجد المقرئين لابن الجزري ص٣ ط دار زاهد القدسي ــ القاهرة .

التمهيـــد:

وفيه ما يلي:

- مفهوم القراءات .
- مفهوم الاستفهام.
- مفهوم الإخبار .
- أدوات الاستفهام وأقسامها بحسب الطلب .
- أغراض الاستفهام ودلالاته .

المبحث الأول : «تغاير القراءات بين الاستفهام والإخبار» .

المبحث الثاني : «الاستفهام المكرر» .

والخاتمة تتضمن نتائج البحث:

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

مفهوم القراءات

١- في اللغة:

القراءات: جمع قراءة مصدر سماعي من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، واسم الفاعل منه قاريء وجمعه قراء، وتطلق القراءة في لسان العرب ويراد بها معان عدة، فمن ذلك :

رؤية الدم، يقال: قرأت المرأة، أي رأت الدم، وأقرأت صارت ذات قرء، والقرء أيضاً الطهر، فهو اسم جامع للأمرين: الطهر والحيض .

وتطلق ويراد بها الجمع، يقال: قرأت القرآن، أي لفظت به مجموعاً، أي ألقيته، ومنه ألقى الخطيب الخطبة .

ومنها الضم: أي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، يقال: قرأت الشيء قرآناً، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧] أي قراءته .

والمقصود بالقراءة في مثل هذا المقام اسم مفعول بمعنى وجه مقروء به[١] .

٢- في الاصطلاح:

هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مَعْزُوّاً لناقله[٢] .

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ص٤٠١ ــ ٤٠٢ بتصرف ط/ مصطفى البابي الحلبي ومختار الصحاح للرازي ص٥٢٦ ط/ الرسالة ــ الكويت، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ٤٢١/١ ط دار إحياء الكتب العربية ــ فيصل عيسى البابي الحلبي .

(٢) منجد المقرئين لابن الجزري ص٣ ط دار زاهد القدسي ــ القاهرة .

مفهوم الاستفهام

الاستفهام لغة: مأخوذ من الفهم، والفهم: معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفَهِمْتُ فلاناً وأفهمته، وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً[١].

واصطلاحاً: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصة، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: إنه طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم، ومنهم من فرق بينهما وقال : إن الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً[٢].

وعرفه السكاكي بقوله: والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون. والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق[٣]. وسار على هذا المذهب ملخصو كتابه (مفتاح العلوم)، وشراح التلخيص. ولا يخرج غيرهم عن ذلك، فالعلوي يقول: (ومعناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلاء)[٤]. وابن قيم الجوزية يقول: (هو أن يستفهم عن شيء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به علم)[٥].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (فهم) ٣٤٨١/٥ ط دار المعارف .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس تحقيق السيد أحمد صقر ص١٨١ط دار إحياء الكتب العربية .

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي ص١٤٦ ط مصطفى البابي الحلبي .

(٤) الطراز للعلوي ص٥٣٢ ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٥) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص٢٣٧ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

مفهوم الإخبار

الإخبار لغة: مأخوذ من الخبر، يقال: خبره بكذا وأخبره: نبأه. والاستخبار من استخبر، واستخبر: سأله عن الخبر، وطلب منه أن يخبره، ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته، وتخبرت الجواب واستخبرته، والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر، واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها[١].

الإخبار في الاصطلاح: يختلف مدلول مصطلح الخبر في توجيه القراءات اختلافه في التراث العربي، فهو يطلق ويراد به تارة ما عرف في مصطلح النحاة بالمسند الذي تمم به الفائدة في الجملة الاسمية، كما يراد به أخرى ما هو قسيم أساليب الاستفهام والأمر والنهي، تبعاً لما يمليه وجه التغاير في القراءة.

فالخبر بذلك مصطلح عام يختلف مدلوله في غير مجال من مجالات البحث في العربية والقرآن الكريم، الأمر الذي جعل العلماء يختلفون في حده: فقيل: لا يحد لعسره، وقيل لأنه ضروري؛ لأن الإنسان يفرق بين الخبر والإنشاء ضرورة، وأكثر العلماء على حده، فقالوا: (الخبر: هو الكلام الذي يدخله الصدق والكذب[٢]، ويصح أن يقال لقائله: إنه صادق فيه أو كاذب، وقيل: (الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفياً أو إثباتاً)[٣].

ويبدو أن بعض موجهي القراءات قد أحس بهذا فعدل عن مصطلح الخبر إلى مصطلح الإخبار، إذ إنه مرادف للخبر بهذا المدلول.

---

(١) لسان العرب (خبر) ١٠٩٠/٢ .

(٢) يستثنى من ذلك خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صدقاً، ودليله قوله تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا "[الأنعام: ١١٥] .

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي ص٧٩، وما بعدها بتصرف .

ومهما يكن من أمر فقد اقتضت طبيعة الموضوع ومادته أن ننهج في هذا البحث النهج الشائع في توجيه القراءات، فآثرنا مصطلح (الإخبار) الذي تردد عند بعض الموجهين مرادفاً للخبر لعدم التباسه بمصطلح النحاة وأهل الحديث، فضلاً عن دلالته على هذا الضرب من الكلام.

أدوات الاستفهام وأقسامها بحسب الطلب

للاستفهام أدوات مبهمة تستعمل في طلب الفهم بالشيء والعلم به، وهذه الأدوات هي: الهمزة، وهل، ومَنْ، وما، وكيف، وكم، وأين، وأيان، ومتى، وأنى، وأي.

وتنقسم هذه الأدوات بحسب المستفهم عنه إلى ثلاثة أنواع:

١- ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو الهمزة وحدها.

٢- ما يطلب به التصديق فقط وهو (هل).

٣- ما يطلب به التصور فقط وهو بقية الأدوات.

فالهمزة ــ كما تقرر ــ يطلب بها أحد أمرين: تصور أو تصديق.

فالتصور: إدراك المفرد أي إدراك أحد أجزاء الجملة عندما يكون السائل عالماً بالحكم ولكنه يجهل أحد أجزاء البناء. أي تعيينه، نحو: أعلى مسافر أم سعيد، تعتقد أن السفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعيينه. ولذا يجاب فيه بالتعيين، فيقال: سعيد مثلاً[1].

وحكم الهمزة التي لطلب التصور أن يليها المسئول عنه، ويذكر للمستفهم عنه ــ غالباً ــ معادل بعد (أم) المتصلة، ولا يكون جواب الاستفهام عندئذ بـ

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف السيد المرحوم/ أحمد الهاشمي ص٨٥، ٨٦ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ــ لبنان .

«نعم» أو بـ (لا)، وإنما يكون بتعيين المستفهم عنه، تقول في السؤال عن الفاعل: أمحمد جاء أم عمر؟ فيكون الجواب: محمد أو عمر، أي بتعيين من جاء منهما، ولا يقال عندئذ (نعم) أو (لا)، وفي السؤال عن الفعل أجاء محمد أم تخلف؟ فيقال: جاء أو تخلف، وعن المفعول: أعمراً ضربت أم زيداً، فيجاب: عمراً أو زيداً، وعن الظرف أفي البيت زارك عمرو أم في المدرسة؟ فيجاب: في البيت أو في المدرسة .

وقد يستغنى عن ذكر المعادل إذا دل عليه دليل، كما في قوله تعالى: " ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ " [الأنبياء: ٦٢] فالسياق وقرائن الأحوال تدل على أن المسئول عنه هو الفاعل، حيث أشاروا إلى الفعل بـ (هذا) فهو معلوم لهم، وهم يشاهدون الأصنام محطمة ويجهلون الفاعل، ولذا وَلِيَ الفاعل الهمزة(أأنت) والمعنى: أأنت فعلت هذا أم غيرك؟ وقد أجابهم ــ عليه السلام ــ معيناً لهم الفاعل على سبيل التهكم: قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ " [الأنبياء: ٦٣] [1].

وينبغي أن يراعي عند ذكر المعادل بعد «أم» المتصلة أن يكون موافقاً لما بعد الهمزة وألا يتناقض معه، على نحو ما ترى في الآيات الكريمة: يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ " [يوسف: ٣٩] أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ " [مريم: ٧٨] ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ " [البقرة: ١٤٠] أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ" [الدخان: ٣٧] لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ " [النمل: ٤٠] حيث تجد أن ما بعد «أم» مماثل لما بعد الهمزة[2].

(١) جواهر البلاغة ص٨٧، وعلم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ص٩٠ .

(٢) ولذا كان من الخطأ أن تقول: أزيداً أكرمت أم أهنت .. أأكرمت زيداً أم عمراً .. أجاءك خالد أم علي .. لتناقض ما بعد الهمزة مع ما بعد (أم) المتصلة، وهو ليس تناقضاً في

وأما التصديق: فهو إدراك وقوع نسبة تامة بين الطرفين ــ المسند والمسند إليه ــ أو عدم وقوعها، بحيث يكون المتكلم خالي الذهن مما استفهم عنه في جملته مصدقاً للجواب ــ إثباتاً (بنعم) أو نفياً بـــ«لا».

وهمزة الاستفهام تدل على التصديق إذا أريد بها النسبة، ويكثر التصديق في الجمل الفعلية، كقولك: أحضر الأمير، تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها، وفي هذه الحالة يجاب بلفظة (نعم) أو (لا).

ويقل التصديق في الجمل الاسمية نحو: أعلي مسافر؟، ويمتنع أن يذكر مع همزة التصديق معادل، فإن جاءت (أم) بعدها قدرت منقطعة، وتكون بمعنى (بل)[1].

والخلاصة أن للهمزة سبعة أحكام هي:

الأول: أنها للتصور والتصديق.

الثاني: أنها يليها المسئول عنه دائماً.

الثالث: إن كانت الهمزة للتصور فيجب أن يذكر بعدها المعادل، ولبد أن يأتي المعادل بعد "أم" التي هي من حروف العطف، وقد يترك المعادل إذا فُهم من السياق.

الرابع: إذا كانت للتصور يكون الجواب عنها بتعيين المسئول عنه من فعل أو فاعل أو غيره، ولا يصح أن يكون الجواب بـــ"نعم" أو "لا" بل بتعيين المسئول عنه، وإذا كانت للتصديق يكون الجواب عنها بـــ "نعم" أو "لا".

تركيب العبارة فحسب، بل تناقض واضطراب في الإدراك والوعي؛ إذ تقديم المفعول مثلاً في قولك: أزيداً أكرمت؟ ينبئ بأنك تجهل المفعول وتتصور الفعل وهو الكرم والفاعل وهو المخاطب، فلو قلت بعد ذلك: «أم أهنت» أو قلت: «أم خالدُ» بالرفع تناقضت العبارة وتناقض فهمك واضطرب إدراكك لما تقول.

(١) جواهر البلاغة ص٨٧.

الخامس: إذا كانت الهمزة للتصديق فلا يجوز ذكر المعادل بعدها.

السادس: الهمزة هي أعرق أدوات الاستفهام، ولهذا لا يتقدم عليها حرف عطف كما يتقدم على غيرها، فإذا اجتمعت مع حرف عطف تقدمت عليه نحو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢] وقوله سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أما بقية أدوات الاستفهام فإنها تتأخر عن حروف العطف.

السابع: وهو قريب من السابق، فهي لا تقع بعد "أم" أما غيرها من أدوات الاستفهام فإنها تقع بعد "أم".

و(هل) يطلب بها التصديق فقط، ــ أي معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها لا غير نحو: هل قام زيد؟ وهل عمرو ناجح؟ فتسأل عن نسبة القيام للأول والنجاح للثاني، ولذا يكون جوابك: بـــ (نعم) أو (لا)، أي: بإفادتك ثبوت النسبة أو نفيها. ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها معادل بعد (أم) المتصلة[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن (هل) لها مزيد اختصاص بالجملة الفعلية وأن ذلك يرجع للأمور الآتية:

١- أنها في الأصل بمعنى (قد) و(قد) لا تدخل إلا على الأفعال فكذلك ما هو بمعناها.

٢- تأثيرها في بعض أنواع الفعل وهو المضارع بتخليصه ــ غالباً ــ للاستقبال.

٣- اختصاصها بطلب التصديق، وهو إدراك النسبة، وهذا بطبيعته يتوجه إلى المعاني لا إلى الأفراد، أي: إلى الفعل دون الاسم؛ لأن الحكم بالثبوت أو الانتفاء يتوجه إلى الحدث الذي هو جزء من مفهوم الفعل، إذ الفعل حدث وزمن.

---

(١) مفتاح العلوم ص٣٠٨، ٣٠٩ بتصرف.

٤- ولكون (هل) لها مزيد اختصاص بالأفعال، فإنه لا يعدل عن الفعل إلى الاسم بعدها إلا لنكتة بلاغية، وذلك كما في قوله تعالى: وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ " [الأنبياء: ٨٠] وقوله عز وجل: قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾" [الأنبياء: ١٠٨].

نجد أن قوله تعالى: فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ " فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾" أدل على طلب حصول الشكر والإسلام من قوله : فهل أنتم تشكرون؟ فهل أنتم تُسلمون؟ أو فهل تشكرون؟ فهل تُسلمون؟ وذلك لأن الجملة الإسمية تفيد التوكيد، وتدل على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية، ولأن إبراز ما يحدث ويتجدد في معرض الحاصل الثابت أقوى دلالة على الاهتمام بشأنه وكمال العناية بحصوله له من إبقائه على أصله. وكذا من قوله: أفأنتم شاكرون؟ أفأنتم مسلمون؟ وإن كانت صيغته للثبوت؛ لأن (هل) نزاعة إلى الفعل وأدعى له من الهمزة، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله وشدة الاهتمام بوقوعه(١).

وبقية أدوات الاستفهام موضوعة للتصور فقط، فيسأل بها عن معناها، ويكون الجواب عنها بتعيين المستفهم عنه.

فـ (مَنْ): ويُطلب بها تصور من يعقل أو من يعلم نحو قوله تعالى: قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ " [الأنبياء: ٥٩ - ٦٠]. فالجواب قد اشتمل على ذكر الذات المستفهم عنها.

(١) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ص٩٦.

و(ما) ويُستفهم بها عن غير العقلاء، فيطلب بها بيان الذات كقوله تعالى: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ " [طه: ١٧- ١٨] كما يطلب بها بيان حقيقة المسمى وصفته، نحو: قوله سبحانه: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ " [الأنبياء: ٥٢- ٥٣]، ويطلب بها أيضاً إيضاح الاسم نحو: ما العسجد؟ فيجاب: الذهب.

و(متى) ويُستفهم بها عن الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً نحو: متى حضرت؟ ومتى تسافر؟ ومنه قول الله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾" [يس:٤٨].

و(أيان) ويُستفهم بها عن الزمان المستقبل، وتستعمل في مواضع التفخيم والتهويل كقوله عز وجل: يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾" [الذاريات: ١٢].

و(أين) ويُسأل بها عن المكان نحو: قوله تعالى: أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ " [الأنعام: ٢٢].

و(كيف) ويُسأل بها عن الحال كما في قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ..." [البقرة: ٢٨].

و(أنى) وتُستعمل تارة بمعنى كيف كقوله تعالى: أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا "[البقرة: ٢٥٩]، وتارة بمعنى من أين، كقوله عز وجل: يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ " [البقرة: ٣٧]، وتارة بمعنى (متى) مثل: أنى تسافر؟ ومنه قوله تعالى: نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ " [البقرة: ٢٢٣]، فـ (أنى) في الآية الكريمة تحتمل المعاني

الثلاثة، أي: متى شئتم، وكيف شئتم، ومن أين شئتم، على أن يكون الإتيان في موضع الحرث.

و(كم) ويُستفهم بها عن العدد كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

و(أي) وتُستعمل في تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، كما في قوله تعالى: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣] والمعنى: أنحن أم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

ويُسأل بها أيضاً عن تمييز الزمان أو المكان أو الحال أو العدد، وكذا عن تمييز العاقل وغير العاقل، فهي تكتسب معنى ما تضاف إليه، فتقول في السؤال بها عن تمييز الزمان: في أي يوم عاد البطل؟ وعن المكان: في أي مكان نلتقي؟ وعن الحال: على أي حال تركت أباك؟ وعن العدد: إلى أي عدد بلغت دراهمك؟ وعن العاقل: أي الرجلين أكبر سناً؟ وعن غير العاقل: أي جواد امتطيت[1].

أغراض الاستفهام ودلالاته

لقد أوضحت فيما سبق المعنى الحقيقي لأدوات الاستفهام وهو طلب العلم بالشيء أو فهمه، ولكن هناك معاني ودقائق بلاغية وأغراض ودلالات يفيدها أسلوب الاستفهام، نذكرها فيما يلي للإفادة، منها:

١- **استفهام الإنكار**: يدل اسمه على معنى النفي في الكلام وما بعده منفي لكونه مصحوباً بـ «إلا» كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥] ومنه عطف المنفي عليه كما في قوله

(١) مفتاح العلوم ص٣١٠ وما بعدها، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني تحقيق: د/ عبد القادر حسين ص١٦٧، وما بعدها ط: مكتبة الآداب، والطراز ص٥٣٢-٥٣٣.

سبحانه: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: ٢٩] أي: لا يهدي أبداً، ومنه قوله عز وجل: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] والمقصود: ما شهدوا ذلك[1].

وقيل: إن هذا الاستفهام كثيراً ما يصحبه التكذيب، وهو ما كان في الزمن الماضي بمعنى (لم يكن) أو كان في المستقبل بمعنى (لا يكون) ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٤٠] على معنى أنه سبحانه لم يفعل ذلك، وقوله عز وجل: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: ٢٨] أي: لا يكون هذا الإلزام أبداً في المستقبل[2].

والمتأمل لجميع آيات البحث يجد الاستفهام يفيد معنى الإنكار ويتبعه معاني التقريع والتوبيخ والاستبعاد والتحقير والإلزام والاستهزاء والتعجب إلى غير ذلك.

وفي الجملة فالإنكار من الأغراض القرآنية العامة وهو أكثرها شيوعاً في القرآن الكريم، وكان ركناً خطيراً في دعوة القرآن الذي نزل هداية للبشر، واختار الله منهم العرب وهم أشد الناس تأدباً وأكثرهم نفاراً وصلفاً، وأعتاهم عتواً وأعظمهم سلطاناً مادياً ودينياً ضرورة أن هدايتهم ـــ والحال تلك ـــ إيذان بهداية غيرهم.

واعتمد القرآن الكريم أساليب تعزو كل طاقات النفس، ومنافذ الحس وروافد الفكر بقدر معلوم مناسب كما وكيفما لاختلاف الحالات وطباع ثابتة مظلمة .... وفي منهج إلهي كان صوت الإنكار فيها جهيراً، إنكار على الشرك ومظاهره ورذائله، إنكار أن يكون لله ولد أو بنات بل هو واحد أحد، إنكار الفكر

(١) معترك الأقران ١/٣٢٨.

(٢) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم للدكتور/ صباح عبيد دراز ص١٢٩ وما بعدها باختصار وتصرف يسير ط الأمانة.

ومظاهره وسلوكه على العموم، الإنكار الأخروي[١] إلى غير ذلك مما لا يخرج عنه بحثنا هذا.

٢- **استفهام الإثبات**: ويأتي للإثبات مع التوبيخ، كقوله تعالى: " أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً " [النساء: ٩٧] فقصد سبحانه وتعالى الذين ظلُّوا بالمقام مع الكفار وترك الهجرة مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل: " أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً " فتهاجروا فيها من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، على سبيل التوبيخ لعدم القيام بواجبهم الديني[٢].

٣- **استفهام الإخبار**: كقوله عز وجل: وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ " [يس: ١٠] قال أبو عبيدة: «فخرج لفظها على لفظ الاستفهام وإنما هو أخبار»[٣] غير أن بعض البلاغيين سموه «استفهام تقرير»[٤] وذكر السيوطي استفهام الإخبار معرفاً إياه ومستشهداً بقوله تعالى: أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا "[النور: ٥٠] ..»[٥]

٤- **استفهام الاستبطاء**: نحو قوله سبحانه: مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ " [البقرة: ٢١٤] أي عند استبطاء النصر لتناهي الشدة عليهم[٦]. وقال الجرجاني:

---

(١) السابق.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرين ٤٤٠/٢ ط دار المعرفة.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق: د/ محمد فؤاد سزكين ١٥٨/٢ ط مكتبة الخانجي ــ القاهرة.

(٤) المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني إعداد الدكتور/ إنعام فوال عكاوي ص١٢٤ ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ٣٣٣/١ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٦) شرح عقود الجمان للسيوطي ص٤٨ ط الشرفية في مصر، والبرهان في علوم القرآن ٤٤٥/٢.

«في الآية تقديم وتأخير، أي حتى يقول الرسول: ألا إن نصر الله قريب، والذين آمنوا: متى نصر الله؟[١]، ونحو قوله عز وجل: مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ " [يس: ٤٨] بدليل: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ " [الحج: ٤٧].

٥- **استفهام الاستبعاد** وهو عد الشيء بعيداً، والفرق بينه وبين الاستبطاء: أن الاستبعاد متعلقه غير متوقع، أما الاستبطاء فمتعلقه متوقع، والمستفهم يتطلع إلى وقوعه ومجيئه، ومن الاستفهام الذي جاء مفيداً الاستبعاد قوله تعالى: فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾" [ق: ٣-٤] فالكفرة يستبعدون البعث وينكرون وقوعه، وقد عبروا عن هذا الاستبعاد بصيغة الاستفهام التي طوى فيها البعث المستفهم عنه، والتقدير: أنبعث إذا كنا تراباً؟ ذلك رجع بعيد، وكأنهم يريدون أن يظل البعث هكذا سؤالاً مثاراً وتعجباً مُقاماً يسأله كل كافر ويتعجب من وقوعه كل جاحد عنيد وأيضاً نحو قوله عز وجل: أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾" [الدخان: ١٣] أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب وقد جاءهم رسول بيِّن الرسالة.

قال الإمام الزركشي: «أي يُستبعد ذلك منهم بعد أن جاءهم الرسول ثم تولوا عنه»[٢].

٦- **استفهام الاسترشاد**: نحو قوله سبحانه وتعالى: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا" [البقرة: ٣٠] والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين، وإنما فرق بين العبارتين أدباً، وقيل هي هنا للتعجب[٣].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤٤٥/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤٤٦/٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤٤٢/٢.

٧- **استفهام الافتخار**: نحو قوله تعالى: "أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ" [الزخرف: ٥١] إذ استفهم ملك مصر «فرعون» عليه اللعنة على سبيل الافتخار والاستعلاء، منادياً قومه بقوله: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحت قصوري أفلا تبصرون عظمتي وقوتي؟[١].

٨- **استفهام الاكتفاء**: نحو قوله تعالى: "أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾" [الزمر: ٦٠] والمبيَّن أنهم استفهموا عن مأوى الكفار الذين استكبروا عن الإيمان بالله الواحد، ناسبين الشريك والولد لله الواحد القهار[٢].

٩- **استفهام الإيناس**: نحو قوله عز وجل: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾" [طه: ١٧] وقيل: هي للتقرير، فيعرف ما في يده حتى لا ينفر إذا انقلبت حية، وليرتِّب عليه المعجزة فيها[٣].

١٠- **استفهام التأكيد**: قصد به التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله، نحو قوله تعالى: "أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾" [الزمر: ١٩] أي مَنْ حق عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه، فـ (مَنْ) للشرط، والفاء جواب الشرط، والهمزة في (أفأنت) معادة مؤكدة لطول الكلام[٤]، حيث أقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار التي حقت عليه في جهنم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٠، والإتقان في علوم القرآن ٢/١٣٤.
(٢) معترك الأقران ١/٣٣٢، والإتقان ص١٣٥.
(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٥، ٤٤٦، ومعترك الأقران ١/٣٣٢.
(٤) معترك الأقران ١/٣٣٣ والإتقان ٢/١٣٥، ١٣٦.

قال جار الله الزمخشري: «الهمزة الثانية هي الأولى كُرِّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد»[١].

١١- **استفهام التبكيت**: نحو قوله عز وجل: "ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ" [المائدة: ١١٦] هو تبكيت للنصارى فيما ادعوه[٢]. وقد جعل السكاكي تمثيل هذه الآية من باب: «التقرير»[٣] وفيه نظر؛ لأن هذا القول لم يقع منه "عليه السلام" تنزيهاً لله عما لا يليق به من شريك وغيره[٤].

١٢- **استفهام التجاهل**: نحو قوله سبحانه وتعالى: "أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا" [ص: ٨] استفهام المتجاهل عناداً منهم وظناً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بأكبرهم ولا أشرفهم عند تنزيل القرآن الكريم عليه[٥].

قال الإمام الزمخشري: أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا: "لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾" [الزخرف: ٣١] وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تنطوي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم[٦].

١٣- **استفهام التحذير**: نحو قوله عزوجل: "أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾" [المرسلات: ١٦] بمعنى: قدرنا عليهم فنقدر عليكم أيضاً، استفهام تحذيري وإنذاري لمن تحدثه نفسه بالسوء والتكذيب[٧].

---

(١) الكشاف ٤/١٢١ ط دار الريان للتراث.
(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤١.
(٣) مفتاح العلوم ص١٥١.
(٤) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤١.
(٥) معترك الأقران ١/٣٣٢، والإتقان ٢/١٣٥.
(٦) الكشاف للزمخشري ٤/٧٤.
(٧) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٣.

١٤- **استفهام العرض والتحضيض**: والفرق بينهما: الأول طلب برفق، والثاني طلب بشق[١] فالأول كقوله تعالى: "أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ" [النور: ٢٢] فالآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق الذي حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر، لما خاض في الإفك، بعد أن كان ينفق عليه. وبعد أن نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ينفق عليه. وقال والله لا أنزعها أبداً[٢]. فالاستغفار على سبيل العرض الاستفهامي ليسامح الأخ أخاه ويصفح عنه. والثاني كقوله تعالى: "أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ" [التوبة: ١٣] على سبيل التشجيع والتحضيض؛ لأنهم نقضوا مواثيقهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينهم[٣].

١٥- **استفهام التحقير**: نحو قوله تعالى: "أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ" [الأنبياء: ٣٦] أي إذا رآه الكفار قالوا تحقيراً له وهزءاً منه: أهذا الذي يذكر آلهتكم ويعيبها؟ ونحو قوله عزوجل: "أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾" [الفرقان: ٤١][٤].

١٦- **استفهام التذكير**: قال علماء البلاغة: إن استفهام التذكير يتضمن معنى الاختصار على سبيل التذكير ومثاله نحو قوله تعالى: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ" [يس: ٦٠] والمعنى: ألم أمركم على لسان رسلي أن لا تطيعوا الشيطان لأنه بين العداوة؟ على سبيل

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٥، ومعترك الأقران ١/٣٣٢.

(٢) معترك الأقران ٢/٣٣٢، ويراجع إرشاد العقل السليم ٤/٧٩ ط دار الفكر.

(٣) معترك الأقران ٢/١٨٧.

(٤) معترك الأقران ١/٣٣٢، والمعجم المفصل في علوم البلاغة ص١٢٨.

التذكير بالأمر. ونحو قوله عزوجل: "هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ" [يوسف: ٨٩] على سبيل التذكير مما فعلوه من الضرب والبيع، وغير ذلك من إذلالهم له؛ لأنهم كانوا جاهلين ما يؤول إليه أمره مع احتمال الكلام معنى التوبيخ لما قاموا به[١].

١٧- **استفهام الترغيب**: نحو قوله تبارك وتعالى: "مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا" [البقرة: ٢٤٥] بمعنى من ذا الذي ينفق ماله لله وفي سبيله عن طيب نفس، وهذا على معنى الترغيب في مساعدة المحتاج، ونحو قوله تعالى: "هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾" [الصف: ١٠] ومعناه: أن تدوموا على الإيمان بالله ورسوله وتجاهدوا في سبيل الله تعالى بأموالكم وأنفسكم تلك تجارة رابحة، ذالكم خير لكم فافعلوه تنجوا من عذاب أليم[٢].

١٨- **استفهام التسهيل والتخفيف**: وهو استفهام يفيد التخفيف في المسائل التكليفية الصغيرة قبل الكبيرة، مثاله نحو قوله عزوجل: "وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ" [النساء: ٣٩] والمعنى: أي ضرر عليهم في ذلك؟ بل الضرر فيما هم عليه من الكفر. وفي هذا استفهام للتسهيل ممزوج بالإنكار من عدم إيمانهم بالله تعالى واليوم الآخر، مع ظهور المعجزات على يد الرسل عليهم السلام[٣].

١٩- **استفهام التسوية**: وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو قوله تعالى: "سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ" [البقرة: ٦] والمعنى: إن الذين كفروا كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما،

(١) معترك الأقران ١/٣٣٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٤، ومعترك الأقران ١/٣٣١.

(٣) معترك الأقران ١/٣٣١، والإتقان ٢/١٣٥.

سواء عليهم أتوعدتهم أم لم توعدهم لا يؤمنون، لعلم الله تعالى منهم بذلك فلا تطمع في إيمانهم، وذلك على سبيل التسوية المصحوبة بالإنذار والتخويف[١].

٢٠- **استفهام التشويق**: نحو قوله عز وجل: مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا"[البقرة: ٢٤٥] وقوله سبحانه: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ "[الصف: ١٠] على سبيل المجاز، تجارة مضمونة الربح، الإيمان بالله ورسوله، والمجاهدة في سبيلهما بالأموال والأنفس، ذلكم خير لكم من عذاب لا يعلم به إلا الله. وهذا كله على سبيل التشويق الاستفهامي ترغيباً بالإيمان وبعداً عن النار والعذاب[٢].

٢١- **استفهام التعجب**: نحو قوله تبارك وتعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾"[البقرة: ٢٨] ومنهم من جعله للتنبيه[٣]، ومن استفهام التعجب أيضاً قوله تعالى:قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾"[هود: ٧٢] فقد تعجبت امرأة إبراهيم من بشارة الملائكة له عليه السلام بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، كيف تلد وهي عجوز وقد عاشت حياتها عقيماً، وهذا بعلها قد صار شيخاً، إنه لأمر عجيب، ولذا تساءلت الملائكة متعجبة من تعجبها قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ "[هود: ٧٣].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤١ بتصرف، ومعترك الأقران ١/٣٣١، والإتقان ٢/١٣٥.

(٢) شرح عقود الجمان ص٤٨، والمعجم المفصل في علوم البلاغة ص١٣٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٦.

٢٢- **استفهام التعظيم**: نحو قوله تعالى: مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ "[البقرة: ٢٥٥] والمعنى: لا أحد يشفع يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا خلة في الدنيا والآخرة إلا بإذنه، تعظيماً لشرفه وقدرته[١].

٢٣- **استفهام التفجع**: نحو قوله عز وجل: مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا "[الكهف: ٤٩] وهذا ما مال إليه الإمام الزركشي[٢] وأما الإمام السيوطي فيرى أن الآية الكريمة لا تشعر بالتفجع كما تشعر بالتعظيم والتفخيم إذ المعنى عليه أن الكفار والمجرمين عند تسلّمهم كتابهم بشمالهم ورؤيتهم أعمالهم مسجلة بكاملها دون زيادة أو نقصان، فتأخذهم القدرة الإلهية بعظمتها فيقولون آنذاك: مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة؟ على سبيل الاستفهام التفخيمي[٣].

٢٤- **استفهام التقرير**: وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده[٤].

قال ابن جني: (ولا يستعمل ذلك بـ «هل» كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام)[٥].

---

(١) معترك الأقران ١/٣٣٢، والإتقان ٢/١٣٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٢.

(٣) معترك الأقران ١/٣٣٠، والإتقان ٢/١٣٤، ١٣٥، والمعجم المفصل في علوم البلاغة ص١٣١.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٣٦.

(٥) ينظر: الخصائص بتحقيق د/ محمد علي النجار ٢/٤٦٣ ط المكتبة العلمية ويراجع الكتاب لسيبوية تحقيق: عبد السلام محمد هارون ٣/١٧٥ وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وذهب معظم العلماء في قوله تعالى: قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ " [الشعراء: ٧٢] إلى أن «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ إلا أن سيبويه لا يجيز استفهام التقرير بـ «هل» إنما يستعمل فيه الهمزة[١]، ونقل عن بعضهم أن «هل» تأتي تقريراً كما في قوله تعالى: هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾"[الفجر: ٥] والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب، فالأول: كقوله تعالى: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾"[الشرح: ١، ٢] والثاني: كقوله تعالى: أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا "[النمل: ٨٤][٢].

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات[٣].

٢٥- **استفهام التكثير**: نحو قوله تعالى: فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا"[الحج: ٤٥] بمعنى: كم من قرية أهلها كفروا أهلكناها بكفرهم، فهي خاوية ساقطة، فالاستفهام على سبيل التكثير[٤].

٢٦- **استفهام التمني**: نحو قوله عزوجل: فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا"[الأعراف: ٥٣] أي هل يشفع الرسل لهم على ما كانوا يفعلون من الشرك بالله وغيره، على سبيل التمني[٥].

---

(١) الكتاب لسيبويه ١٧٥/٣، والبرهان في علوم القرآن ٤٣٧/٢.

(٢) البرهان مصدر سابق.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤٣٨/٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٤٤٢/٢، ومعترك الأقران ٣٣١/١.

(٥) معترك الأقران ٣٣٢/١.

٢٧- **استفهام التنبيه**: وهو من أقسام الأمر، نحو قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ "[البقرة: ٢٤٣] وقوله سبحانه: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"[البقرة: ٢٥٨] وقوله عز وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ"[الفرقان: ٤٥] والمعنى في كل ذلك: أنظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه[١]. ومنه أيضاً قوله تعالى: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾"[التكوير: ٢٦] فهو تنبيه للكفرة إلى خطأ ما يقولون وضلال ما يعتقدون وباطل ما يعبدون من دون الله.

٢٨- **استفهام التهديد**: ويكون للوعيد نحو قوله تعالى: أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾"[المرسلات: ١٦] بمعنى: أهلكنا الأولين بتكذيبهم ثم نتبعهم الآخرين ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم، على سبيل التهديد[٢]. فلا يخفى علينا ما يفيده الاستفهام من توعد للكفرة وحث لهم على الإقلاع عن كفرهم والانصياع لصوت الحق حتى لا يصيبهم ما أصاب الأولين من إهلاك وتعذيب.

٢٩- **استفهام التهكم والاستهزاء**: نحو قول الله تعالى: أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا " [هود: ٨٧] أي: أن قوم نبي الله شعيب قالوا على سبيل التهكم والاستهزاء: أصلاتك التي كُلفتَ بها تأمرك بترك ما يعبد أباؤنا من الأصنام؟ على معنى أن هذا منهم أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير[٣].

٣٠- **استفهام التهويل**: ويكون للتخويف: نحو قوله تعالى: الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾" [الحاقة: ١، ٢] وقوله عز وجل: الْقَارِعَةُ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤٤٤/٢.

(٢) معترك الأقران ٣٣١/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤٤٦/٢، ومعترك الأقران ٣٣٣/١.

وذهب معظم العلماء في قوله تعالى: قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ " [الشعراء: ٧٢] إلى أن «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ إلا أن سيبويه لا يجيز استفهام التقرير بـ «هل» إنما يستعمل فيه الهمزة[١]، ونقل عن بعضهم أن «هل» تأتي تقريراً كما في قوله تعالى: هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾"[الفجر: ٥] والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب، فالأول: كقوله تعالى: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾"[الشرح: ١، ٢] والثاني: كقوله تعالى: أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا "[النمل: ٨٤][٢].

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات[٣].

٢٥- **استفهام التكثير**: نحو قوله تعالى: فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا"[الحج: ٤٥] بمعنى: كم من قرية أهلها كفروا أهلكناها بكفرهم، فهي خاوية ساقطة، فالاستفهام على سبيل التكثير[٤].

٢٦- **استفهام التمني**: نحو قوله عزوجل: فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا"[الأعراف: ٥٣] أي هل يشفع الرسل لهم على ما كانوا يفعلون من الشرك بالله وغيره، على سبيل التمني[٥].

---

(١) الكتاب لسيبويه ١٧٥/٣، والبرهان في علوم القرآن ٤٣٧/٢.

(٢) البرهان مصدر سابق.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤٣٨/٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٤٤٢/٢، ومعترك الأقران ٣٣١/١.

(٥) معترك الأقران ٣٣٢/١.

٢٧- **استفهام التنبيه**: وهو من أقسام الأمر، نحو قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ "[البقرة: ٢٤٣] وقوله سبحانه: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"[البقرة: ٢٥٨] وقوله عز وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ"[الفرقان: ٤٥] والمعنى في كل ذلك: أنظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه[١]. ومنه أيضاً قوله تعالى: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾"[التكوير: ٢٦] فهو تنبيه للكفرة إلى خطأ ما يقولون وضلال ما يعتقدون وباطل ما يعبدون من دون الله.

٢٨- **استفهام التهديد**: ويكون للوعيد نحو قوله تعالى: أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾"[المرسلات: ١٦] بمعنى: أهلكنا الأولين بتكذيبهم ثم نتبعهم الآخرين ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم، على سبيل التهديد[٢]. فلا يخفى علينا ما يفيده الاستفهام من توعد للكفرة وحث لهم على الإقلاع عن كفرهم والانصياع لصوت الحق حتى لا يصيبهم ما أصاب الأولين من إهلاك وتعذيب.

٢٩- **استفهام التهكم والاستهزاء**: نحو قول الله تعالى: أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا " [هود: ٨٧] أي: أن قوم نبي الله شعيب قالوا على سبيل التهكم والاستهزاء: أصلاتك التي كُلفتَ بها تأمرك بترك ما يعبد أباؤنا من الأصنام؟ على معنى أن هذا منهم أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير[٣].

٣٠- **استفهام التهويل**: ويكون للتخويف: نحو قوله تعالى: الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾" [الحاقة: ١، ٢] وقوله عز وجل: الْقَارِعَةُ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤٤٤/٢.

(٢) معترك الأقران ٣٣١/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤٤٦/٢، ومعترك الأقران ٣٣٣/١.

﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ " [القارعة: ١، ٢] فالاستفهام في الآيات الكريمة يكشف عن أهوال يوم القيامة، ويصور ويبرز فظاعة العذاب وشدته[١] .

٣١- **استفهام التوبيخ**: وجعله بعضهم من قبيل الإنكار إلا أن الأول إنكار إبطال، وهذا إنكار توبيخ، والمعنى أن ما بعده واقع جدير بأن يُنفي، فالنفي هنا قصدي والإثبات قصدي، ويعبر عن ذلك بالتقرير أيضاً نحو قوله عز وجل: أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ " [طه: ٩٣] بمعنى: بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى ، على سبيل التوبيخ الاستفهامي الاستنكاري، لإبطال ما أمرك الله به من عبادة الأوثان والأصنام. وكقوله تعالى: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ " [الصف: ٢] على سبيل التوبيخ والإنكار عندما هزموا في معركة أحد[٢] .

٣٢- **استفهام الدعاء**: وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى ومنه قوله تعالى: أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ " [الأعراف: ١٥٥] أي: لا تهلكنا على معنى الدعاء والاستعطاف، أي لا تعذبنا ولا تهلكنا بذنب غيرنا من السفهاء أصحاب الفتنة[٣] .

٣٣- **استفهام العتاب**: نحو قوله تعالى: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ " [الحديد: ١٦] ففي هذه الآية الكريمة استفهام عتاب وُجه إلى الصحابة رضوان الله عليهم لما أكثروا المزاح. قال

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٢، ومعترك الأقران ١/٣٣١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٦، ومعترك الأقران ١/٣٢٩، والمعجم المفصل في علوم البلاغة ص١٣٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٤، ٤٤٥، ومعترك الأقران ١/٣٣٢ .

ابن مسعود رضي الله عنه: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين»[١][٢] .

ومن ألطف ما عاتب الله به خير خلقه محمداً عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ " [التوبة: ٤٣] ففي الآية الكريمة عتاب الخالق جلت قدرته لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وكان أذن لجماعة في التخلف عن الجهاد باجتهاد منه، فنزل عتاباً، وقدم العفو تطميناً لقلبه[٣] .

٣٤- **استفهام النفي**: نحو قوله تعالى: هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ " [الرحمن: ٦٠] [٤] والمعنى: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، تلك حقيقة مقررة لا يعارض فيها عاقل، ولكن فرق بين الدلالة عليها بالاستفهام والدلالة عليها بطريق النفي المعهود، إن في الاستفهام تحريكاً للفكر وتنبيهاً للعقل وحثاً على النظر والتأمل ... وهذا هو الفرق بين النفي الصريح وبين النفي عن طريق الاستفهام .

٣٥- **استفهام النهي** : نحو قوله عزوجل: أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ " [التوبة: ١٣] بدليل قوله سبحانه في آية أخرى: فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ" [المائدة: ٤٤] ومنه أيضاً قوله تعالى: مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ " [الانفطار: ٦] أي: لا يغرك أو لا تغتر به[٥] .

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٣١٩، كتاب التفسير باب في قوله تعالى: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ " .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٠ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤١ .

(٤) المعجم المفصل في علوم البلاغة ص١٣٦، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف د/ أحمد المطلوب ١/١٩٣ ط المجمع العلمي العراقي .

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٣، ومعترك الأقران ١/٣٣١ .

٣٦- **استفهام التحسر**: فقد يرد الاستفهام مراداً به معنى التحسر والتألم، وذلك في مقام يظهر فيه المستفهم حزنه وتألمه وتحسره على ما فاته، ومن ذلك: قوله تعالى: " فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ " [القيامة: ٧-١٠] فالاستفهام هنا يفيد تحسر الإنسان وندمه على ما فاته في الدنيا واستبعاد الفرار في ذلك اليوم: " كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ " [القيامة: ١١-١٢] (١).

٣٧- **استفهام الأمر**: نحو قوله تعالى: " وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ " [آل عمران: ٢٠] فهذا استفهام ومعناه الأمر، أي: أسلموا ونحو قوله عزوجل: " فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ " [المائدة: ٩١] أي: انتهوا (٢).

٣٨- **استفهام الإياس**: نحو قوله تعالى: " فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ " [التكوير: ٢٦] (٣).

(١) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١٠٤/٢.

(٢) معترك الأقران ٤٣٦/١، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٨٥/١.

(٣) البرهان: في علوم القرآن ٤٤٥/٢.

المبحث الأول

تغاير القراءات بين الاستفهام والإخبار

تمهيد:

مما لا افتراء فيه أن اللفظ القرآني بقراءتيه أو بقراءاته متعدد الإشعاع، وينعكس إشعاعه على جهات متعددة مقصودة بما يؤدي إلى وضوح الرؤية لمن يرى، واكتمال المغزى لمن يتأمل، فدلالة اللفظ المقروء بأكثر من قراءة ليس من قبيل دلالة اللفظ المشترك الذي يدل على معنيين لغويين، ولكن كما يقول الطاهر بن عاشور: «.. مجزئاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن الكريم وأسراره» (١).

ولقد وفقني الله تبارك وتعالى وتتبعت الأسلوب الإستقرائي بين الاستفهام والإخبار في القراءات المتواترة فوجدت أنها وردت في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، وإليك الآيات التي وردت فيها هذه الظاهرة القرائية مع توجيهها وبيان الأثر المترتب على كل قراءة لتأتي كل من القراءتين بمعنى جديدٍ يضفي جمالاً وروعة على الأسلوب البياني للقرآن الكريم، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الموضع الأول: قوله تعالى: " وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ " [آل عمران: ٧٣].

لقد ورد في قوله عز وجل: " أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ " قراءتان:

الأولى: (أن يؤتى) بهمزة واحدة، وبها قرأ جمهور أهل الأداء.

(١) التحرير والتنوير ٥٥/١.

الثانية:(أأن يؤتى) بهمزتين، ثانيتهما مسهلة من غير إدخال ــ وبها قرأ ابن كثير المكي[١].

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن قراءة الجمهور تفيد الإخبار[٢]، وقراءة ابن كثير تفيد الاستفهام[٣] ودلالة الإخبار والاستفهام على التوبيخ والإنكار ملتبسة بالنهي في صدر الآية الكريمة،

---

(١) السبعة لابن مجاهد تحقيق شوقي ضيف ص٢٠٧ ط دار المعارف والإقناع لابن الباذش تحقيق د/ عبد المجيد قطاش ٦٢١/٢ ط دار الفكر ــ دمشق، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٤٠/٢ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت .

(٢) قال ابن عمار المهدوي ومن قرأ بغير استفهام فالتقدير: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن اتبع دينكم، فـ«أنْ» مفعولة لـ (تؤمنوا) واللام في (لمن تبع دينكم) محمولة على المعنى لأن معنى: (لا تؤمنوا) لا تقرّوا، فكأنهم قالوا: لا تقرّوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن اتبع دينكم .. ويجوز أن تكون اللام في قوله (لمن تبع دينكم)، زائدة على أن يكون ذلك محمولاً على المعنى وهو أن تجعل تقدير: (لا تؤمنوا) اجحدوا، فيكون المعنى اجحدوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم على هذا كله: (مثل إن الهدى هدى الله) اعتراضاً بين (أن) والفعل العامل فيها. شرح الهداية لابن عمار المهدوي تحقيق د/حازم سعيد حيدر ٢٢٣/١-٢٢٤ ط مكتبة الرشد ــ الرياض .

(٣) من قرأ بالاستفهام فيجوز أن تكون (أن) في موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر محذوفاً والتقدير: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تصدقون به، وأبين من هذا التقدير تقديره بالمصدر والمعنى أإعطاء أحد مثل ما أعطيتم تصدقون به .. ويجوز أن تكون (أن) في موضع نصب أيضاً بإضمار فعل، ويكون التقدير: أتذكرون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقوله: "أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ" [آل عمران: ٧٣] على هذه التقديرات المتقدمة من جملة قول اليهود، لأنهم قالوا في صدر الآية: "وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ" فالمعنى في ذلك على قراءة الاستفهام لا تصدقوا بما عندكم من علم النبي صلى الله عليه وسلم وتظهروه إلا لليهود فإنكم إن صدقتم بذلك وأظهرتموه لمشركي قريش كانوا عوناً لهم على الإيمان به، ثم قال بعد ذلك أَن يُؤْتَىٰٓ

لذلك نجد الفارسي، يُعمل فكره في السياق القرآني ويدرك أن مثل هذا في المعنى في قراءة ابن كثير قوله "وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾" [البقرة: ٧٦] فوبخ بعضهم بعضاً بالحديث بما علموه من أمر النبي ﷺ وعرفوه من وصفه. فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير ولعله اعتبرها في قراءته هذه، والاستفهام على قوله تقرير وتوبيخ[١] .

قلت: وإذا كان أبو علي الفارسي يلتمس للاستفهام وجهاً معتبراً من السياق القرآني في آية البقرة، فإن مكياً وغيره يرجعه إلى مقامه في آية آل عمران؛ إذ مد الهمزة على لفظ الاستفهام؛ ليؤكد الإنكار الذي قالوه: بأنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم[٢] وهذا ما أكدته كذلك قراءة كسر الهمزة على معنى النفي والتصميم .

أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ" [آل عمران: ٧٣].. ويكون على ذلك قوله: "قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ" اعتراضاً في خلال قولهم، ويجوز أن يكون: "أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ" [آل عمران: ٧٣] على قراءة الاستفهام من كلام الله عز وجل، فيكون متصلاً بقوله: "قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ" فكأنهم لما قالوا: "وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ" قال عز وجل: "قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ"، شرح الهداية ٢٢٢/١ ــ ٢٢٣ بتلخيص .

(١) الحجة للقراءة السبعة لأبي علي الفارسي تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي ٥٦/٣ ط دار المأمون للتراث دمشق ويراجع الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الفسوي تحقيق د/ عمر حمدان الكبيسي ٣٧٦/١ ط الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ــ بجدة .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب تحقيق د. محي الدين رمضان ٣٤٨/١ ط مؤسسة الرسالة، ويراجع المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق عبد السلام عبد الشافي طه ١٢٦/٣ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ وإرشاد العقل السليم ٣٧٦/١ .

وبذلك نلمح أن علة ذلك في نظر مكي ومن نحا نحوه (أن النفي الأول دل على إنكارهم في قولهم: (ولا تؤمنوا ....) فكان الاختيار عنده القراءة بغير مد؛ لأن الجماعة عليه، ولأن المعنى في الإنكار يقوم بغير زيادة ألف؛ لأن «لا» تغني عن الألف[١]، ومن ثم أمكن حمل قراءة الإخبار كما قال الرازي على الاستفهام[٢].

بيد أن جار الله الزمخشري يضيف إلى ذلك رؤية أخرى أملاها عليه لفظ الاستفهام في نسق الآية، فاتخذه وليجة إلى القول بأن قوله: "أن يؤتى" متصل بمقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "قل إن الهدى هدى الله" على معنى: "أن ما بكم من الحسد والبغي ــ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب ــ دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، والدليل عليه قراءة ابن كثير "أأن يؤتى أحد" بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ[٣] فيتوجه بذلك المعنى الحاصل من قراءة الاستفهام إلى تلك الطائفة التي زعمت ما زعمت حسداً وبغياً أو إليهم جميعاً بعد ما كان في الوجه الأول متوجهاً من علماء اليهود إلى عامتهم.

العلاقة بين القراءتين:

مما سبق نلمح أن العلاقة بين القراءتين قائمة على التقارب؛ إذ إن قراءة الجمهور قد أفادت أن الكلام جاء على جهة الاستفهام الإنكاري وإن حذفت منه أداة الاستفهام لدلالة السياق عليه، فجاءت قراءة ابن كثير باستفهامها الصريح الملفوظ به لتأكيد ذلك الإنكار الكامن في قراءة الجمهور. والله أعلم بكتابه.

---

(١) الكشف ٣٤٨/١.

(٢) ينظر التفسير الكبير ٢٧٨/٧، ٢٧٩ بتلخيص ط دار الغد.

(٣) الكشاف ٣٧٤/١ ط دار الريان للتراث، ويراجع البحر المحيط لأبي حيان ٤٩٤/٢ ط دار السعادة مصر.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

تنوعت القراءات في قوله: (إِنَّكُمْ):

فقرأ المدنيان وحفص عن عاصم "إنكم" بهمزة واحدة على الإخبار المستأنف، وقرأ الباقون (أئنكم) بهمزتين على الاستفهام، وكل حسب مذهبه في الهمزة الثانية، فابن كثير ورويس بتسهيلها مع عدم الإدخال وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وهشام بالتحقيق مع الإدخال وعدمه، والباقون بالتحقيق مع عدم الإدخال[١].

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن القراءة بالإخبار (إنكم) جاءت تفسيراً لفاحشة اللواط وفظاعتها وقبحها، والمعنى: إنكم لتأتون الرجال في أدبارهم وتدعون الزواج بالنساء في أقبالهن، أي أنكم عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلى إتيان الرجال، وهذا شذوذ وإسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع للشيء في غير محله. وفي هذا تقريع لهم وتوبيخ شديد[٢].

وأن القراءة بالاستفهام (أئنكم لتأتون) تقتضي نفس المعنى ولكن مع تأكيد للإنكار وتشديد للتوبيخ، وذلك ليكون أدل على تناهي الزجر عن هذه الفعلة القبيحة.

---

(١) النشر ٣٧١/١، ٣٧٢، وإتحاف فضلاء البشر لأحمد بن عبد الغني الدمياطي تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل ٥٤/٢ عالم الكتب ــ مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٤٥/٤٤/٤ بتصرف، وجامع البيان للطبري ١٦٥/٥ بتصرف ط دار المعرفة ــ بيروت، والمحرر الوجيز ٤٢٥/٢.

وقد ألمح الإمام الألوسي هذا المعنى بعد أن ذكر قراءة الاستفهام فقال: «.. وهو ــ أي الاستفهام ــ حينئذ تأكيد للإنكار السابق وتشديد للتوبيخ»[١].

العلاقة بين القراءتين:

مما سبق نلمح أن القراءتين فيهما مزيد تقريع وتوبيخ لقوم لوط، ومما يؤكد شدة التوبيخ وإنكاره أيضاً الإتيان بـ (إنّ) و(اللام) في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ إذ فيهما مزيد تقبيح وتقريع، كأن ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد، فيؤكد تأكيداً قوياً، وكذلك في إيراد لفظ (الرجال) دون الغلمان والمرادان[٢] ونحوهما مبالغة أيضاً في التوبيخ والتقريع، كأنه قال: لتأتون أمثالكم؟

قال الطاهر بن عاشور: (وجملة «إنكم لتأتون» مبيّنة لجملة (أتأتون الفاحشة) والتأكيد بـ (إن) و(اللام) كناية عن التوبيخ؛ لأنه مبني على تنزيلهم منزلة من ينكر ذلك لكونهم مسترسلون عليه غير سامعين لنهي الناهي) .. ثم إنه رحمه الله تعالى يرى بأن القراءتين متساويتان في المعنى وعلل لذلك بقوله: (.. إنكم) بهمزة واحدة مكسورة ــ بصيغة الخبر، فالبيان راجع إلى الشيء المنكر بهمزة الإنكار في (أتأتون الفاحشة)، وبه يعرف بيان الإنكار، ويجوز اعتباره خبراً مستعملاً في التوبيخ، ويجوز تقدير همزة استفهام حذفت للتخفيف ولدلالة ما قبلها عليها.. و(أئنكم) بهمزتين على صيغة الاستفهام ــ فالبيان للإنكار، وبه بيان المنكر، فالقراءتان مستويتان)[٣].

---

(١) روح المعاني للألوسي ١٧٠/٨ ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، ويراجع إرشاد العقل السليم ٢٦٩/٢ .

(٢) المرادان: جمع أمرد، وهو الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطَرَّ شاربه، ولم تبد لحيته، لسان العرب (مرد) ٤١٧٢/٦، ٤١٧٣ .

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٣١/٨ ط دار سحنون للنشر والتوزيع ــ تونس.

وأرى أن لكل قراءة معنى جديداً لتحسن القراءتان ويأتلف المعنيان، فقد جاءت الآية الكريمة بالقراءتين لبيان حالي بني لوط عليه السلام، فهو في حال التعجب والذهول تأتي قراءة الاستفهام (أئنكم) وهو في حال السخرية والازدراء تأتي قراءة الخبر (إنكم) وثمة سر من أسرار القرآن الكريم وإعجازه في قراءة الاستفهام، هو فتح لباب التوبة، وتليين في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى علّهم يرعوون ويكفون عن فاحشتهم وسوء أفعالهم، ويرجعون إلى العزيز الغفار جل جلاله. والله أعلم بكتابه.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأعراف: ١١٣]:

تنوعت القراءات في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾:

فقرأ المدنيان وابن كثير المكي وحفص عن عاصم بهمزة واحدة مكسورة على الخبر، وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام، وكل على أصله، فأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال، ورويس بالتسهيل مع عدم الإدخال، وهشام بالتحقيق مع الإدخال وعدمه، والباقون بالتحقيق مع عدم الإدخال[١].

الأثر المترتب على تنويع القراءتين:

الذي يتدبر معنى القراءتين يلمح أن لكل قراءة أثر في المعنى: فالأثر المترتب على قراءة ترك الهمزة يفيد الإخبار وإثبات الأجر العظيم، بمعنى أنها تحتمل طريقة الإخبار بثبوت الأجر وإيجابه، كأنهم قالوا: لابد لنا من أجر عظيم حينئذ، والمعنى: أن السحرة قد اجتمعوا عند فرعون قبيل بدء المباراة ليحددوا معه المكافآت التي

---

(١) المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر بن مهران تحقيق سبيع حمزة حاكمي ص١٨٣ ط دار القبلة للثقافة الإسلامية ــ جدة مؤسسة علوم القرآن، والنشر٢٧١/٢، وإتحاف فضلاء البشر ٥٨/٢ .

يحصلون عليها إن غلبوا موسى عليه السلام، فتعهد لهم فرعون بها، ووعدهم أن يكونوا من حاشيته المقربين عنده، وصاغ السحرة مطالبهم في هذا الاستفهام الذي حذفت همزته "إلا أن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين" وهذا الاستفهام حقيقي لا مجازي. أرادوا به معرفة ما سيحصلون عليه من أجزية. وهي بهذا التأويل تحتمل طريق الاستفهام التقريري الذي أفادته قراءة إثبات الهمزة.

وعلى كل فالأَوْلى أن يكون الأسلوب للاستفهام التقريري[1] سواء تركت الهمزة أم ذكرت وقراءة ذكرها تدل عليها في قراءة تركها، ويكون تركها إظهاراً للاستفهام في صورة الخبر لإبراز التفاؤل الذي كان عليه السحرة بناء على ثقتهم في الغلبة وثقتهم فيما يترتب عليها من الأجر[2].

يقول الشهاب الخفاجي: (وقراءة «إنا» إما على الإخبار وإما على الاستفهام بحذف الهمزة لتتوافق القراءتان، ولأن الظاهر عدم جزمهم به ولذا رجحه الواحدي رحمه الله بناء على اطراد حذفها[3].

ويفهم من عبارة الشهاب: ذهابه إلى قراءة ترك الهمزة قد تعني الخبر وقد تعني الاستفهام على تقدير الهمزة لكنه فيما يبدو يرجح اعتبار الاستفهام لعلتين:

الأولى: لتتوافق دلالة ترك الهمزة مع دلالة ذكرها.

الثانية:ولأن الظاهر عدم جزمهم بالأجر،فعدم الجزم بالأجر يدعو للاستفهام عنه.

والحق أن هذه العلة مبنية على أن الاستفهام على حقيقته، لكن السياق يدل على أن الاستفهام للتقرير، وهو ما ذهب إليه أبو السعود[4].

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢٨٤/٢ .

(٢) روح المعاني ٢٤/٩ بزياد وتصرف، والتحرير والتنوير ٤٦/٩.

(٣) ينظر: حاشية الشهاب ٣٤٤/٤ ويراجع: روح المعاني ٢٥٤/٩ بزيادة وتصرف، والتحرير والتنوير ٤٦/٩ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٢٤ /٢٨٤، ومدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي للدكتور/ محمد إبراهيم شادي ص٣٨ ط السعادة ــ القاهرة .

العلاقة بين القراءتين:

إن لكل قراءة دلالة تدل عليها وإن كانت العلاقة بينهما تكاد أن تكون متحدة؛ فقراءة إثبات الهمزة تتوافق مع الجواب بـــ (نعم) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾" [الأعراف: ١١٤].

أما قراءة ترك الهمزة فإنها لم تؤثر على بقاء معنى الاستفهام، لكنها أثرت على صورته، ومعنى الإخبار وإن لم يقصد، فإن مجيء التعبير على صورة الخبر يوحي بظلال معناه، فهو يعكس ثقة السحرة في الغلبة، وبالتالي في الأجر حتى كأنهم قرروا وحكموا لأنفسهم بالأجر على سبيل التأكيد ثم نجد في السياق ما يؤكد هذه الثقة ويتفاعل معها في قولهم فيما حكى القرآن الكريم عنهم: إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾" [الأعراف: ١١٥] فخيروه ثقة منهم في قدرتهم وأن الأمر بالنسبة لهم سواء، ومع أن تقديم ضميرهم (نحن) يشي برغبتهم في البدء، إلا أنهم ترجموا الثقة وحققوا ما بوسعهم فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاء بسحر عظيم وهنا تظهر المعجزة التي ليست في نطاق بشر وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ " [الأعراف: ١١٧][1].

الموضع الرابع: قوله تعالى: قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ " [الأعراف: ١٢٣] وقوله تعالى: قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ "[طه:٧١] وقوله عز وجل: قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ

---

(١) مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي ص٣٨ ، ويراجع التحرير والتنوير ٤٦/٩ بتصرف.

ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾"[الشعراء:٤٩] .

إن كلمة (آمنتم) وردت في ثلاث سور من القرآن الكريم، وهي: (الأعراف، وطه، والشعراء).

وأصل هذه الكلمة: (أأأمنتم) بثلاث همزات: الأولى للاستفهام الإنكاري، والثانية: همزة أفعل، والثالثة: فاء الكلمة، فالثالثة يجب قلبها ألفاً لجميع القراء، كما قال ابن الجزري:

..... *** والكل مبدل كأس أوتيا[1]

واختلفوا في الأولى والثانية، واختلافهم في الأولى من حيث حذفها وإثباتها وتغييرها واختلافهم في الثانية من حيث تحقيقها وتسهيلها، والقراء في ذلك على أربعة مذاهب:

الأول: قراءة قالون، والأزرق، والبزي، وأبي عمرو، وابن ذكوان، وأبي جعفر وهشام بخلف عنه بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية وألف بعدها.

الثاني: قراءة الأصبهاني، وحفص، ورويس بإسقاط الهمزة الأولى وتحقيق الهمزة الثانية وألف بعدها، وهي تحتمل الخبر المحض والاستفهام، وحذفت الهمزة اعتماداً على قرينة التوبيخ.

الثالث: قراءة قنبل بإبدال الهمزة الأولى واواً خالصة حالة وصل آمنتم (بـ) فرعون، واختلف عنه في الهمزة الثانية، فروى عنه تسهيلها وتحقيقها، وأما إذا ابتدأ بـ (أمنتم) فإنه يقرأ كالبزي بهمزتين ثانيتهما مسهلة.

---

(١) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص٢٠ ط جدة ـ مكتبة دار الهدى .

الرابع: قراءة شعبة وحمزة الكسائي وروح، وخلف العاشر وهشام في وجهه الثانية بهمزتين محققتين وألف بعدهما[1][2].

الأثر المترتب على تنوع القراءات:

لقد بين الإمام أبو علي الفارسي أثر كل قراءة ودلالتها التي تدل عليها، مبيناً أن وجه الخبر في قراءة «أمنتم» على الإخبار، أنه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقريع والتوبيخ لهم بإيمانهم

والإنكار عليهم، ووجه الاستفهام أنه استفهام على وجه التقرير، يوبخهم به وينكره عليهم[3].

وهو يعود إلى مثل هذا أيضاً في قراءة آية طه بالإخبار، فيرى أن لها وجهاً حسناً:

(كأنه ـ أي فرعون عليه اللعنة ـ يُقرِّعهم على تقدُّمهم بين يديه، وعلى استبدادهم على ما كان منهم من الإيمان عن غير أمره وإذنه) ولكنه ذهب إلى أن الاستفهام إلى هذا المعنى يُؤوّل؛ لأنه تقريع وتوبيخ منه لهم على إيمانهم[4].

---

(١) يراجع في نسبة هذه المذاهب المبسوط في القراءات العشر ص١٨٤، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٥٨، ٥٩.

(٢) تنبيه: اتفق القراء على عدم إدخال ألف بين الهمزتين هنا حتى لمن مذهبه الإدخال، وذلك لئلا يصير في اللفظ أربع ألفات، لأن في ذلك تطويل وخروج عن كلام العرب، كما أن ورشا لا يبدل الهمزة الثانية ألفاً وذلك كي لا يلتبس الاستفهام بالخبر، أما القصر والتوسط والمد في البدل فهي جائزة له حسب قاعدته. المصادر السابقة.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤/٧٠، ٧١، ويراجع حجة القراءات لابن زنجلة تحقيق سعيد الأفغاني ص٢٩٣ ط مؤسسة الرسالة .

(٤) الحجة للقراء ٥/٣٤٢ .

لذلك رأينا مكياً وغيره يرجع القراءة بلفظ الإخبار إلى معنى الاستفهام محذوف الأداة (وإنما حذفت ألفُ الاستفهام من اللفظ استخفافاً، وحُسِنَ ذلك؛ لأن ما في الكلام من معنى التوبيخ والتقريع من فرعون للسحرة يدل على الاستفهام الذي معناه الإنكار منه لفعلهم الإيمان..)[1].

وخلاصة ما سبق: أن الأثر المترتب على قراءتي الإخبار والاستفهام في (آمنتم) مفاده ما يلي: أن أمنتم بغير همزة على وجه التقريع والإنكار، أي: قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم: آمنتم برب موسى وهارون قبل أن آمركم أنا بذلك، وأن القراءة بهمزتين على وجه الاستفهام، وهو استفهام معناه الإنكار والاستبعاد.

العلاقة بين القراءتين:

مما سبق نلمح أن العلاقة بين القراءتين علاقة اتحاد؛ وذلك أن القراءة بلفظ الإخبار فيها معنى التوبيخ كما في الاستفهام؛ لأن الخبر إذا لم يقصد به فائدته ولا لازمها تولد منه بحسب المقام ما يناسبه، وهنا لما خاطبهم فرعون بما فعلوه مخبراً لهم بذلك مع ظهور عدم قصد إفادة أحد الأمرين، والمقام هو المقام أفاد التوبيخ والتقريع.

وعلى كل فسياق الآي يدل على أن إيمان السحرة بدعوة موسى عليه السلام كان أمراً حاصلاً قبل مخاطبة فرعون إياهم فهو إذاً لا يفيدهم بالإخبار أمراً يجهلونه. أو أنه يستعلم بالاستفهام أمراً يجهله، ومن ثَمَّ فإنْ كلا الأسلوبين قد تجاوز حدود معناه الأصلي إلى الدلالة على معان ثوان أملاها السياق بمعونة القرائن.

والخلاصة: أن هذه العبارة (آمنتم به) تحتمل الخبرية والاستفهامية .

---

(١) الكشف ٤٧٣/١، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣٤٧/٤ ط دار الكتب العلمية بيروت، وروح المعاني ٢٧/٩، والتوجيه البلاغي ص٢٢٣ ــ ٢٢٥ .

والاستفهام فيها أرجح وهو يؤدي معنى رئيسا هو: الإنكار ومن أبرز المعاني المتولدة عنه ــ هنا ــ التهديد وقد أفصحت عنه الآية التي بعد هذه الآية "لأقطعن..." ولا مانع من رَدْف التوبيخ لأن المقام يستدعيه"[1] .

هذا. وتتمة للفائدة: فقد ورد سؤالان: أحدهما، ظهور اسم (فرعون) في آية الأعراف، وإضماره في آيتي طه والشعراء. والثاني: قوله في الأعراف (آمنتم به) وفي طه والشعراء (آمنتم له) والجواب عن الأول: وهو إظهار الاسم في سورة الأعراف، وإضماره في طه والشعراء أنَّ ذكر العائد إلى فرعون بعد؛ لأنه جاء في الآية التي أضمر فيها ذكره وهي قوله تعالى: قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾" [الأعراف: ١١٤] فلما لم يفصح باسمه في هذه الآية مع أنه هو القائل في كل حال «أمنتم به» إخباراً، أو استفهاماً إنكارياً ناسب هذا أن يظهر اسمه ليرتفع الالتباس وهو إمكان أن يكون القائل (آمنتم به) غير فرعون، أما في سورتي طه والشعراء فلم يبعد ذكره بل إنه تكرر ظاهراً ومضمراً، فحسن إتيانه مضمراً في قوله: (آمنتم له).

والجواب عن السؤال الثاني: وهو قوله (آمنتم به) في الأعراف، و(آمنتم له) في طه والشعراء أن الضمير في (به) يرجع إلى (رب العالمين) وهو المؤمن به سبحانه وتعالى. وفي سورتي طه والشعراء يعود ضمير (له) إلى موسى عليه السلام (وهو المؤمن له) أو إلى ما جاء به من الآيات. وقيل أمنتم به وآمنتم له واحد[2].

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام ٤٠٠/١، ٤٠١ .

(٢) درة التنزيل للخطيب الإسكافي ص٩٨ ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وملاك التأويل للغرناطي تحقيق: سعيد الفلاح ٥٧٠/١ وما بعدها ط دار الغرب الإسلامي، وأسرار التكرار للكرماني تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ص١٢٩ ط دار الفضيلة .

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١].

تنوعت القراءات بين الإخبار والاستفهام في قوله (ما جئتم به السحر) فقرأ جمهور أهل الأداء بهمزة وصل على الإخبار، وقرأ أبو عمرو البصري أبو جعفر (السحر) بهمزة قطع ممدودة على الاستفهام، فيكون لكل منهما وجهان:

الأول: إبدال همزة الوصل ألفا مع المد المشبع للساكنين.

والثاني: تسهيلها بين بين، وعلى قراءتهما توصل هاء الضمير في (به) بياء ويكون المد حينئذ من قبيل المنفصل فكل يمد حسب مذهبه[1].

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن قراءة الإخبار تتضمن معنى التقرير والتعريض بكون ما جاء به السحرة هو السحر لا ما حكموا به على آيات موسى عليه السلام من قبل، في قوله (ما جئتم) و(ما) تحتمل على هذه القراءة وجهين:

أحدهما: أنها موصولة في محل رفع بالابتداء، وجئتم به (صلتها) والسحر الخبر و(أل) فيه للجنس والتعريف لإفادة القصر إفراداً والمعنى: قال موسى لهم أيها السحرة إن الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وملؤه من آيات الله تعالى سحراً[2].

(١) المبسوط في القراءات العشر ص٢٠١ والنشر ٣٧٨/١، وشرح الإمام الزبيدي ص٣٣٨، على متن الدرة المتممة للقراءات العشر تحقيق عبد الرزاق علي إبراهيم موسى ص٣٨٨ ط الدار النموذجية ــ المطبعة العصرية بيروت ــ صيدا.

(٢) يعضد هذا الوجه قراءة ابن مسعود وأبي بكر بن كعب والأعمش ومعاذ بن حارث القارئ (ت٥٦٩) (ما جئتم به سحر بالتنكر وقرأ أبي أيضاً: (ما أتيتم به سحر) والمعنى: لا ما

الوجه الثاني: أنها استفهامية في محل رفع بالابتداء و(جئتم به) الخبر، أي: أي شيء جئتم به، وارتفاع «السحر» على إضمار مبتدأ، أي هو السحر.

ويجوز أن تكون في محل نصب بفعل مضمر بعدها يفسره هذا الظاهر، بمعنى أي شيء أتيتم أو جئتم، دل عليه هذا الظاهر[1].

وأما قراءة الاستفهام فقد لحظوا أنها أحدثت تغيراً في نسق جملتها، وطريق أدائه، إذ قد تولد استفهام آخر يُجَوِّز لنا الوقف[2] عليه وهو قوله (ما جئتم به)؟ بمعنى: أي شيء جئتم به؟ السحر هو؟

ولا شك أن علماءنا الأجلاء تمثلوا هذا الوقف، وأحسوا بما ينطوي عليه من تغير في تنغيم الصوت بالاستفهام عند التلاوة، ومن ثم أوحت لهم تلك القراءة بمعانٍ متعددة تدور حول الإنكار والتوبيخ والتقرير والتصغير والتحقير من شأن ما جاء به السحرة من السحر والتخييل[3] وهي معان أحسب أنها ههنا تدرك بالأذن وتمثل المقام وليس للكتب في وصفها من سبيل.

وعلى هذه القراءة فـ (ما) استفهامية ليس إلا، والدليل على ذلك استقلال الكلام بقوله (جئتم به) إذ لو كان موصولاً لاحتاج إلى جزء ينضم إليه[4].

(١) المصادر السابقة والموضح ٦٣٤/٢، ومعاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين ٤٧٥/١، ط عالم الكتاب ــ بيروت.

(٢) عده أحمد بن عبد الكريم الأشموني في منار الهدى ص١٧٩ مصطفى البابي الحلبي من الوقف الحسن وقال السجاوندي ما جئتم به أي مطلق لمن قرأ السحر مستفهماً علل الوقوف في ٥٧٥/٢، ط الرشيد ــ الرياض.

(٣) المصادر السابقة والحجة لأبي علي ٢٩٠/٤، وحجة القراءات لابن زنجله ص٣٣٥ والكشف ٥٢١/١-٥٢٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٦٨/٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، والتفسير الكبير ٤٢٢/١٦.

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٥٨٤/٢.

بيد أن ابن المنير يرى رأياً جديداً يرد به القراءتين إلى معنى واحد، قال بعد ذكر عبارة الزمخشري: (وليس المراد في القراءة الأولى الإخبار بأن ما جاءوا به سحر خاصة، ولكن مع تنزيه ما جاء به عن كونه سحرا. وإنما يستفاد ذلك مما في هذا النظم المخصوص من إفادة الحصر، ولو مرت بخاطر أبي المعالي ــ إمام الحرمين الجويني ــ في مسألة تحريمة التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على إفادة هذا النظم الحصر، فإنا نعلم أن موسى عليه السلام حيث أطلقه، فإنما أراد إضافة السحر إلى ما جاؤا به محصوراً فيه، حتى لا يتعدى إلى الحق الذي جاء به هو منه شيء، وأما القراءة الثانية ففيها ــ والله أعلم ــ إرشاد إلى أن قول موسى ــ عليه السلام ــ أولا (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) حكاية لقولهم ويكون (أسحر هذا) هو الذي قالوه، ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم أنهم قالوا (إن هذا لسحر مبين)، وذلك إما لأنهم قالوا الأمرين جميعاً: بدؤا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقاً، والاستهزاء بالحق إنكار له، بل قد يكون الاستفهام في بعض المواطن أبت من الإخبار. ألا ترى أنهم يقولون في قوله : أأنت أمْ سالم، أبلغ في البت من قوله مخبراً: أنت أم سالم؟ ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة بِبَتِّ الإنكار ودعوى أنه سحر فقالوا: إن هذا لسحر مبين، فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني ووبخهم موسى على قولهم الأول.

ومعنى العبارتين ومآلهما واحد. وإما أن لا يكونوا قالوا سوى (أسحر هذا) على سبيل الإنكار حسبما تقدم، فحكاه الله تعالى عنهم بمآله؛ لأنه يعلم أن مرادهم من الاستفهام الإنكار وبت القول أنه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم بلفظه، ولم يؤده بعبارة أخرى وحكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محل لها سوى أنها معان منقولة إلى اللغة العربية، فيترجم عنها بالألفاظ المترادفة المتساوية المعاني ــ وحاصل هذا البحث: أن قول موسى ــ عليه السلام

ــ (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) إنما حكى فيه قولهم، ويرشد إلى ذلك أنه كافأهم عندما أتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهماً، فقال: جئتم به آلسحر؟ على قراءة الاستفهام قرضاً بوفاء على السواء والذي يحقق لك أن الاستفهام والإخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد: أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام (ما جئتم به السحر) على الوجهين: الخبر والاستفهام على ما اقتضته القراءتان وهو قول واحد دل على أن مؤدى الأمرين واحد ضرورة صدق الخبر..) [(١)].

وذهب الإمام البقاعي أيضاً إلى أن القراءتين بمعنى الاستفهام، كما جوز أن تكون قراءة الجماعة مقصوداً بها الخبر لما يقصد به الحصر فقال مبيناً ذلك: (قال موسى منكراً عليهم «ما جئتم به»؟ ثم بين أنه ما استفهم عنه جهلاً بل احتقاراً وإنكاراً وزاد في بيان الأمرين بقوله: (السحر)؛ لأنه استفهام أيضاً سواء قطعت الهمزة ومدت كما في قراءة أبي عمرو وأبي جعفر، أو جعلت همزة وصل كما في قراءة الباقين، فإن همزة الاستفهام مقدرة، والتعريف إما للعهد وإما للحقيقة وهو أقرب، ويجوز في قراءة الجماعة أن يكون خبراً لما يقصد به الحصر، أي هو السحر لا ما نسبتموه إليَّ..) [(٢)].

الموضع السادس: قال تعالى ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٩، ٩٠].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ بين الإخبار والاستفهام: فقرأ ابن كثير المكي وأبو جعفر المدني: (قالوا إنك لأنت

(١) الانتصاف بديل الكشاف ٣٦٢/٢، ٣٦٣ ط دار الريان للتراث .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٤٧٢/٣ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

يوسف) بهمزة واحدة على الإخبار، وقرأ الباقون (قالوا أئنك لأنت يوسف) بهمزتين على الاستفهام التقريري، وهم على أصولهم، فقالون وأبو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل بالألف، وورش ورويس كذلك لكن بلا فصل، وقرأ الحلواني من مشهور طرقه عن هشام وكذا الشذائي عن الدجواني بالتحقيق مع الفصل، وقرأ الدجواني غير الشذائي عنه بالتحقيق بلا فصل وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان، وروح[١].

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

وإن القراءة على الخبر تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون خبراً محضاً كأنهم لما تحققوا أنه يوسف وأيقنوا بذلك وثبت عندهم قالوا: إنك لأنت يوسف[٢].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ مؤكداً هذا الوجه: (وقرأ ابن كثير إنك بغير استفهام على الخبرية، والمراد لازم فائدة الخبر، أي: عرفناك. ألا ترى أن جوابه بـ (أنا يوسف) مجرد عن التأكيد؛ لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلا تأييده لذلك[٣].

ثانيهما: يجوز أن يكون خبراً بمعنى الاستفهام، كما قيل في قوله: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾" [الشعراء: ٢٢] أي: أَوَ تلك نعمة[٤]؟

---

(١) المبسوط في القراءات العشر ٢١١، وإتحاف فضلاء البشر ١٥٣/٢.

(٢) الكشف ١٤/٢ بتصرف، وشرح الهداية ٣٦٤/٢، وإبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي شامة ص٥٣٦ ط مصطفى البابي الحلبي، والموضح ٦٨٧/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٤٩/١٣.

(٤) المصادر السابقة.

وإن قراءة الاستفهام تحتمل أوجهاً باستفهامها هذا:

أولاً: تحتمل أن يكون الاستفهام على الحقيقة؛ لأنهم إنما أرادوا أن يستفهموا أهو يوسف أم لا[١].

ثانياً: يحتمل أن يكون الاستفهام بمعنى الإلزام والإثبات، فقولهم: أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ " [يوسف: ٩٠] يدل على أنهم استشعروا من كلامه، ثم من ملامحه، ثم من تفهم قول أبيهم لهم: قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾"[٢] [يوسف: ٨٦]، إذ قد اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه مريداً نفسه، وتأكيد الجملة بـ (أنَّ) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحقيقهم أنه يوسف ــ عليه السلام ــ، وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به، أي أنهم أتوا بلفظ يحققون به ما صح عندهم من أنه هو يوسف[٣].

وهذا مارتآه الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني حيث قال: أما الاستفهامان (هل علمتم)، و أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ " فوجهات نظر الأئمة فيهما متقاربة: وأظهر ما قالوه فيهما أنهما للتقرير. ويضاف إلى الأول هَلْ عَلِمْتُم"، التذكير والتأنيب. أما الثاني فإن بعضهم قد جعله (للتعجب) مجرداً وليس هذا بصحيح بل هو للتقرير والتوثق[٤].

ثالثاً: يحتمل أن يكون استفهاماً على سبيل الاستغراب والاستعظام، وإن كانوا قد عرفوه حق المعرفة،أي:إنك لهو،ونحن وأنت يعامل بعضنا بعضاً معاملة الغرباء؟[٥]

---

(١) شرح الهداية ج٢ ص٣٦٥.

(٢) سورة يوسف الآية (٨٦).

(٣) الكشف ١٤/٢، والتحرير والتنوير ٤٩/١٣.

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام ١٤١/٢ .

(٥) إبراز المعاني ص٥٣٦، والتحرير والتنوير ٤٩/١٣ وروح المعاني ٤٨/١٣، والتوجيه البلاغي ص٢٢٦ .

العلاقة بين القراءتين:

إن العلاقة بين القراءتين متقاربة، والجمع سائغ بينهما، فلعل بعض الأخوة قالوا استخباراً وبعضهم استفهاماً[١]، وذلك يعني أن كل قراءة من القراءتين تصور موقفاً لبعضهم، إذ وردت حكايته بالإخبار عمن عرفوه يقيناً، كما وردت بالاستفهام عمن استغربوا أن يكون هو يوسف الذي يعرفون من أمره على ما كان منهم، وقد نقل لنا النسق القرآني ذين الموقفين بتغاير الحرفين في القراءة، وذلك ضرب من الإيجاز الذي يتفرد به الذكر الحكيم.

ومن الممكن حمل قراءة ابن كثير وأبي جعفر على الاستفهام محذوف الأداة على ما ارتأى غير واحد من المفسرين والموجهين، وبذلك يوحي كلا الوجهين بمعنى التعجب والاستغراب، وربما تأيد ذلك بما ذكره جار الله الزمخشري في قراءة أبي بن كعب ــ رضي الله عنه ــ (أأنك أو أنت يوسف) على معنى أأنك يوسف أو أنت يوسف، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات[٢]، وذلك بالنظر إلى ما فعلوه معه من قبل، وما عاينوه بعد من المكانة التي منَّ الله عز وجل ــ بها عليه بصبره وتقواه.

والله أعلم بكتابه.

---

(١) إبراز المعاني مصدر سابق.

(٢) الكشاف ٥٠٢/٢، ويراجع المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ٣٤٩/١، والبحر المحيط ٣٤٢/٥، وإرشاد العقل السليم ١٣٦/٣.

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾[١] [مريم: ٦٦].

تنوعت القراءات في قوله: (أءذا) بين الإخبار والاستفهام:

فقرأ ابن ذكوان بخلف عنه (إذا) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون (أءذا) بهمزتين على الاستفهام وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، وهم على أصولهم في الهمزتين فقالون وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال، وورش وابن كثير ورويس بتسهيل الهمزة الثانية مع عدم الإدخال، وهشام في أحد وجهيه، وابن ذكوان من طريق النقاش، وعاصم وحمزة والكسائي وروح بالتحقيق والقصر. والوجه الثاني لهشام التحقيق مع المد[٣].

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن القراءة بالاستفهام (أءذا ما مت) تفيد الإنكار والاستهزاء والتكذيب بالبعث، ومفاد هذا الاستفهام أنه بمعنى النفي، أي لا إحياء بعد الموت، وأنكر

---

(١) قرأها نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بكسر الميم، والباقون بضمها وهما لغتان. إتحاف فضلاء البشر ٢٣٨/٢.

(٢) أخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنها نزلت في العاصي بن وائل، وعن عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في أبي جهل وعن الكلبي أنها في أبي بن خلف أخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده ويذريه في الريح ويقول: زعم فلان أنا نبعث بعد أن نموت ونكون مثل هذا إن هذا شيء لا يكون أبداً. وعلى كل واحد من هذه الأقوال تكون (أل) في (الإنسان) للعهد والمراد به أحد هؤلاء الأشخاص، ويكون لفظ (الإنسان) من قبيل العام الذي أراد به الخصوص. أو المراد بالإنسان بعض الناس المعهود وهم الكفرة، أو المراد به الجنس فإن المقول مقول فيما بينهم، وإن لم يقل كلهم كقولك: بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم، روح المعاني ١١٦/١٦.

(٣) النشر ٣٧٢/١، وإتحاف فضلاء البشر ٢٣٨/٢.

المشركون أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن يموتوا، وكذبوا بهذا الإخراج وسخروا به ورأوه بعيداً لا يمكن وعجيباً أن يكون، وقد كان إنكارهم بعيداً عن التعقل والتبصر، فالذي خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئاً هين عليه أن يعيد خلقهم بعد أن يصيروا في الأرض عظاماً ورفاتاً، فليس في هذه الإعادة ما يدعوا إلى استبعاد أو يثير شيئاً من العجب لو كانوا يعقلون. والمعنى على هذه القراءة: ويقول هذا الإنسان الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت متعجباً مستهزءاً: أأخرج حياً مرة أخرى فابعث بعد الموت والبلى؟ وهو اعتراض منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى، فأين كان؟ وكيف كان؟ إنه لم يكن ثم كان، والبعث أقرب من النشأة الأولى لو أنه تذكر[1].

وأن القراءة بالإخبار تدل هي الأخرى على معنى التهكم والاستهزاء من جهة من يقول ذلك، أي قاله استهزاءً؛ لأنهم لا يصدقون بالبعث بعد الموت.

العلاقة بين القراءتين:

إن العلاقة بين القراءتين قائمة على الاتحاد، فحاصل القراءتين إنكار الكفار لتحقيق وقوع البعث بعد الموت، وهذا الإنكار منهم له ما يؤكده فمن ذلك: التعبير بصيغة المضارع (يقول) المؤذن بالتجدد المستمر عند كثير من الكافرين، والذي إن دل فإنما يدل على استحضار تلك الصورة الغريبة وتلك الأقوال المنكرة التي صدرت عن هذا الكافر، وكذلك الإتيان بالجملة المسلط عليها الإنكار مقترنة بلام الابتداء الدالة على توكيد الجملة الواقعة هي فيها، أي: يقول الإنسان الذي خلقناه ولم يك شيئاً مع ما فضلناه به من العقل ونصبنا له من الدلائل على قدرتنا،

---

(١) الكشف ٢/٩٠، وفتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ٨/١٨٣ط إدارة إحياء التراث الإسلامي ــ بدولة قطر، وفي ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٤/٢٣١٧ ط دار الشروق ــ بيروت ــ لبنان .

لا يكون ما حققتموه من إحياء في المستقبل، أو يقول الكافر الجاحد الذي لا يؤمن بالحساب والجزاء: هل إذا متُّ وأصبحت تراباً ورفاتاً؟ هل سوف أُحيا بعد الموت، يقول ذلك بطريق السخرية والاستبعاد[1].

هذا. وإذا كان مآل القراءتين واحد إلا أن القراءة بالاستفهام تدل على شدة تعجب هؤلاء الجاحدين المنكرين واستبعادهم أن يبعثوا بعد أن تبلى أجسادهم وتحلل وتصير تراباً.

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾" [الصافات: ١٥١، ١٥٢، ١٥٣] .

تنوعت القراءات في قوله: «أصطفى» بين الإخبار والاستفهام:

فقرأ أبو جعفر «اصطفى» بوصل الهمزة على لفظ الخبر، والابتداء في هذه القراءة بهمزة مكسورة، واختُلف عن ورش فروى الأصبهاني عنه كذلك، وهي رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع، وروى عنه الأزرق بقطع الهمزة هكذا «أصطفى» على لفظ الاستفهام وكذلك قرأ بها الباقون، والابتداء في هذه القراءة مستفهم كما في الوصل[2] .

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن القراءة بالاستفهام «أصطفى» أفادت معنى التقريع والتوبيخ والإنكار، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ" [الزخرف: ١٦]

---

(١) معاني القراءات لأبي منصور الأزهري، تحقيق د/ عيد مصطفى درويش ود/ عوض بن حمد القوزي ٢/١٣٧ ط دار المعارف ــ بمصر، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٣١، والتحرير والتنوير ١٦/١٤٥.

(٢) المبسوط في القراءات العشر ص٣١٧، ٣١٨، والنشر ٢/٣٦٠، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٤١٦ .

وقوله عزوجل: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩] وقوله سبحانه: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١]، فكما أن هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ وغير الاستفهام ليس باتجاه الاستفهام[1].

والمعنى على هذه القراءة: أن الله تعالى بعد أن أخبر عن شدة كذب هؤلاء المشركين وشناعة جهلهم في قولهم زوراً وبهتاناً (ولد الله) وإنهم لكاذبون في ذلك كذباً ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٩٠] كرر توبيخهم وتقريعهم «أصطفى البنات على البنين» أي هل اختار الله البنات على البنين في زعمهم؟ كلا إن الله تعالى لم يفعل شيئاً من ذلك؛ لأنه سبحانه وتعالى غني عن العالمين.

قال الإمام أبو السعود عند تفسيره لهذه الآية: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ «إثبات لإفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمر بيّن الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين، والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه»[2].

وأن القراءة بالإخبار أو بحذف الهمزة «اصطفى» هي الأخرى أفادت معنى التقريع والتوبيخ والإنكار، ولكن حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه.

قال الإمام البقاعي: «... ومن أسقطها ــ أي همزة الاستفهام ــ فهي عنده مرادة، أي أخبروني هل اختار هذا السيد الذي أنتم مقرون بتمام علمه وشمول قدرته وعلو سؤدده ما تسترذلونه»[3].

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٦/٦٤، والموضح ٣/١٠٩٥.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/٤٢٢.

(٣) نظم الدرر ٦/٣٤٨.

وقد ضعف الإمام الزمخشري هذه القراءة قائلاً: «.. وهذه القراءة ــ وإن كان هذا محملها ــ فهي ضعيفة، والذي أضعفها: أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾. «ما لكم كيف تحكمون»؟ فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين»[1].

وهذه دعوى مردودة تصدّى لها أبو حيان، فقال: «ليست دخيلة بين نسيبين، بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم: «ولد الله»، وأما قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فهو جملة اعتراض بين مقالتي الكفر، جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم»[2]. وهذا أحد الوجوه التي خُرِّجتْ عليها هذه القراءة.

الوجه الثاني: أن يقال: أن أصل الكلمة بالاستفهام كما في القراءة الأخرى، ولكن حذفت همزة الاستفهام للتخفيف، إذ إن التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام[3].

الوجه الثالث: أن يكون على إضمار القول، والتقدير: وإنهم لكاذبون قالوا اصطفى البنات، أو وإنهم لكاذبون في قولهم «اصطفى البنات ..»[4].

الوجه الرابع: أن يكون قوله: «اصطفى البنات» بدلا من قوله: (ولد الله) فيكون فعلاً ماضياً بدلاً من فعل ماض، إذ المعنى فيهما واحد؛ لأن ولادة البنات واصطفاءهن واحد ههنا، ومثل هذا البدل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩][5].

---

(١) الكشاف ٤/٦٤.

(٢) البحر المحيط ٧/٣٧٧.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ١١/٤٢٨.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٦/٦٤، والموضح ٣/١٠٩٥.

(٥) المصدران السابقان.

الوجه الخامس: أن يكون «اصطفى» على قراءة الإخبار تفسيراً لكذبهم الذي نسب إليهم في قولهم: "وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ" .

العلاقة بين القراءتين:

مما سبق يتضح لنا أن القراءتين الواردتين في قوله: «أصطفى» تفيدان معنى التوبيخ والتقريع والإنكار، إلا أن قراءة الاستفهام «أصطفى» جاءت صريحة على جهة التقرير والتوبيخ على نسبتهم إليه اختيار الأدنى عندهم، ثم جاءت قراءة الخبر «اصطفى» لتحكي شنيع قولهم .

الموضع التاسع: قوله تعالى: "أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا[1] أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾" [ص: ٦٣] .

تنوعت القراءات في قوله : "أَتَّخَذْنَٰهُمْ" بين الاستفهام والإخبار:

فقرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وعاصم (أتخذناهم) بهمزة قطع مفتوحة وصلاً وابتداء على الاستفهام، وقرأ الباقون (اتخذناهم) بهمزة وصل تحذف وصلاً وتثبت بدءاً مكسورة على الخبر[2].

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن القراءة بالاستفهام (أتخذناهم) تفيد معنى التوبيخ والتعجب والإنكار والتحسر.

على معنى أن الطغاة ينكرون على أنفسهم يوم القيامة وهم يعذبون في النار سخريتهم في الحياة الدنيا بأولئك الذين آمنوا بالله وصدقوا الرسل وأنهم ما كان

---

(١) قرأها المدنيان وحمزة والكسائي وخلف العاشر بضم السين، والباقون بكسرها، وهما لغتان بمعنى واحد وهو الاستهزاء. وقيل: الضم بمعنى الاستخدام بغير أجرة، والكسر بمعنى الاستهزاء. إتحاف فضلاء البشر ٤٢٤/٢.

(٢) النشر ٣٦١/٢، ٣٦٢، وإتحاف فضلاء البشر ٤٢٣/٢، ٤٢٤.

ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك. ومع هذا الإنكار يؤنبون أنفسهم على تلك السخرية، ويتحسرون على ما فرطوا في جنب أولئك الذين كانوا يعدونهم من الأشرار .

قال الفراء: (والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب والإنكار على أنفسهم)[1] والمعنى: أتخذناهم سخرياً في الدنيا فأخطأنا أم زاغت عنهم الإبصار فلم نعلم مكانهم؟ والإنكار المفهوم من الاستفهام متوجه إلى كل واحد من الأمرين. قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا: اتخذوهم سخرياً، وزاغت عنهم أبصارهم، تحقيراً لهم، فكلاهما إثبات، وإن كان اللفظ على الاستفهام[2] .

ولقد قرأ مجاهد رحمه الله بالاستفهام وقال: «أتخذناهم سخرياً» وليسوا كذلك أم هم في النار ولا نراهم[3] .

ويرى ابن زنجلة أن الاستفهام على معنى التقرير، كأنهم اعترفوا[4] .

وأن القراءة بالإخبار (اتخذناهم) تدل على أنهم قد أخبروا عن أنفسهم أنهم اتخذوهم سخرياً، والتقدير: أمفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار[5] .

العلاقة بين القراءتين:

بإنعام النظر في الآية الكريمة نلمح أنها جاءت بالقراءتين لبيان حالين مختلفين، حال هؤلاء الساخرين في الدنيا، فتأتي قراءة الخبر، وحال هؤلاء الساخرين في الآخرة فتأتي قراءة الاستفهام.

---

(١) معاني القرآن ٤١٠١/٢.

(٢) الموضح في وجوه القراءات ١١٠٦/٣، ١١٠٧، وفتح القدير للشوكاني ٤٤٢/٤ ط دار المعرفة ــ بيروت، وفتح البيان في مقاصد القرآن ٦٢/١٢.

(٣) حجة القراءات لابن زنجلة ص٦١٨ .

(٤) السابق .

(٥) الموضح في وجوه القراءات ١١٠٦/٣ .

قال جار الله الزمخشري: (قريء بلفظ الإخبار على أنه صفة لـ«رجالاً» مثلُ قوله: «كنا نعدهم من الأشرار»، وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستخسار منهم)[1].

هذا. وقوله تعالى: أم زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾" يختلف حكم (أم) من الإتصال ومن الإنقطاع حسب القراءة بالاستفهام والخبر، فعلى الاستفهام (أم) فيه إما متصلة والمقابلة باعتبار اللازم، والمعنى: أي الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الأزدراء بهم وتحقيرهم، وأن أبصارنا تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم.

وإما منقطة كأنهم أضربوا عن إنكار الاستسخار وأنكروا على أنفسهم أشد منه، وهو أنهم جعلوهم محقرين لا ينظر إليهم بوجه.

وعلى قراءة الخبر يجوز أن تكون (أم) متصلة على تقدير أن الهمزة مقدرة لدلالة (أم) عليها فتتحد القراءتان، وأن تكون (أم) فيه منقطعة على أن الكلام خبر، كأنهم أضربوا عن ذلك إلى بيان أن ما وقع منهم في حقهم كان لزيغ أبصارهم، وكلال أفهامهم عن إدراك أنهم على الحق بسبب رثاثة حالهم[2].

حكم الوقف على القراءتين:

وحكم الوقف على (الأشرار) من قوله تعالى: كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾" [ص:٦٢] كاف لمن قرأ (أتخذناهم) بقطع همزة الاستفهام و(أم) مردودة على الاستفهام، وليس بوقف لمن وصل وحذف الاستفهام؛ لأن (اتخذناهم) حينئذ صفة لـ(رجالاً) لأنه كله كلام واحد متصل بعضه ببعض وقوله: (أم زاغت) مردود على ما لنا لا نرى رجالاً اتخذناهم سخرياً أزاغت عنهم أبصارنا

(١) الكشاف ١٠٢/٣، ١٠٣.

(٢) روح المعاني ٢١٨/٢٣.

وهم فيها، فنفوا أولاً ما يدل على كونهم ليسوا معهم. ثم جوّزوا أن يكونوا معهم ولكن أبصارهم لم ترهم فـ(أم) منقطة في الأول متصلة في الثاني[1].

اعتراض ودفعه:

اعترض محمد بن يزيد المبرد على قراءة الاستفهام (أتخذناهم) قائلاً: (في هذه القراءة بعض البعد، لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخرياً فكيف يستفهمون عن اتخاذهم سخرياً وهم قد علموا ذلك؟ يدل على علمهم به أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله: فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى" [المؤمنون:١١٠][2]. وتولى الرد على ذلك الإمام أبو زرعة بقوله: (ولكن نقول: إنما الاستفهام على معنى التقرير، كأنهم اعترفوا)[3].

الموضع العاشر: قوله تعالى: وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ " [فصلت:٤٤].

تنوعت القراءات في قوله: (ءأعجمي): فقرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر بهمزتين على الاستفهام، مع تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما، والأصبهاني والبزي وحفص بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع عدم الإدخال، وللأزرق وجهان تسهيل الثانية مع عدم الإدخال، وإبدالها حرف مد محضاً مع المد المشبع، ولقنبل ورويس وجهان: تسهيل الثانية مع عدم الإدخال، وبهمزة واحدة على الخبر، ولابن ذكوان وجهان تحقيق الهمزة الثانية مع الإدخال وعدمه، ولهشام ثلاثة أوجه: تسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال وعدمه، وبهمزة واحدة على الخبر،

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ص٣٣٠، ٣٣١.

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة ص٦١٧.

(٣) المصدر السابق.

والباقون وهم شعبة وحمزة والكسائي وروح وخلف العاشر، بتحقيق الثانية مع عدم الإدخال[١] .

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

أن من قرأ بهمزة واحدة فإنه جعل الكلام كله خبراً حكاية عن قول الكفار أنهم قالوا: لولا فصلت آيات القرآن بعضه أعجمي وبعضه عربي، فيعرف العربي ما فيه من العربي ويعرف العجمي ما فيه من العجمي، أو أن من لم يثبت همزة الاستفهام فيحتمل أنه حذفها لفظاً وأرادها معنى وفيه توافق القراءتين. إلا أن ذلك لا يجوز عند الجمهور إلا أن كان في الكلام (أم) نحو قول عمر بن ربيعة: بسبع رمين الجمر أم بثمان فإن لم تكن (أم) موجودة لم يجز إلا عند الأخفش .

ومعنى القراءة بالاستفهام أنه على الإنكار منهم لذلك؛ لأنه قال: (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) منكرين قرآن أعجمي ونبي عربي كيف يكون هذا؟ فأخبر عما لم يكن لو كان كيف يكون، فبين أنه لو أنزل القرآن بلسان العجم لقالت قريش أقرآن أعجمي ونبي عربي إنكاراً منهم لذلك[٢]. وهذا لأن قريشاً قالت ــ حسبما تردد في أسباب نزول الآية الكريمة[٣] ــ لولا أنزل القرآن أعجمياً وعربياً .

---

(١) المبسوط في القراءات العشر ١١٢-١١٣، وص٣٣٠، وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٤/٢.

(٢) الكشف ٢٤٨/٢، حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٣٧، والمحتسب ٢٤٧/٢-٢٤٨، والكشاف ٢٠٢/٤-٢٠٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٨/١٥-٣٦٩، وروح المعاني ١٣٠/٢٤ .

(٣) روى سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل القرآن أعجمياً وعربياً فيكون بعض آياته عجمياً وبعض آياته عربياً فنزلت الآية. ينظر أسباب النزول للسيوطي ص١٧٢ ط مصر كتاب التحرير، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٩/١٥ .

قال الأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني: "أما الاستفهام الذي في الآية وهو: "أعجمي وعربي" فهو استفهام إنكار وتعجب وتهكم على حسب زعمهم، وما رأينا للمفسرين خلافاً حول هذه المعاني. فهم ينكرون ــ فيه ــ أن يكون القرآن بلغة العجم والرسول النازل إليه عربي، والمرسل إليهم عرب ثم يتعجبون من هذا التنافر بين الخطاب والمخاطب ثم يسخرون ويتهكمون من أجل كونه كذلك، لو تحقق في القرآن هذان الوصفان: كونه أعجمي اللغة والبيان، وكون المخاطب به عربي اللغة والبيان"[١] .

العلاقة بين القراءتين:

بإمعان النظر نجد أن لكل قراءة دلالة تدل عليها، ومع ذلك فالعلاقة بينهما علاقة تكامل؛ وذلك لأن قراءة الإخبار «أعجمي» قد قررت هذا المقترح وأشارت إليه، وجاءت قراءة الاستفهام لتبين تناقضهم فيه على وجه الإنكار والتعجب، إذ كيف يستقيم لهم وهم عرب الألسن أن يقولوا هذه المقالة التي لا يتشادق بها في وجه الذكر المبين إلا متعنت أو معاند.

وبذا يصور لنا النسق القرآني في هذه الآية الكريمة مع الإيجاز في التعبير كل هذا على ما اقتضته القراءتان بتغاير الحرفين في التلاوة .

الموضع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾" [الأحقاف: ٢٠] .

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام ١٨/٤ .

تنوعت القراءات في قوله: (أذهبتم) بين الاستفهام والإخبار: فقرأ نافع وأبوعمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (أذهبتم) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون (ءأذهبْتُمْ) بهمزتين مفتوحين على الاستفهام، وكل على أصله في الإدخال وعدمه، فابن كثير ورويس بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع عدم الإدخال، وهشام له ثلاثة أوجه: تحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية مع الإدخال، وتحقيق الهمزتين مع الإدخال وعدمه، وابن ذكوان وروح بتحقيق الهمزتين مع عدم الإدخال، وأبو جعفر بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع الإدخال[1].

الأثر المترتب على القراءتين:

إن القراءة بالاستفهام (ءأذهبتم) تفيد معنى التقريع والتوبيخ، وعليه يكون المعنى: واذكر أيها النبي الكريم لقومك حين تعرض النار على الكفار، أي يعذبون فيها، أو يوم ينكشف الغطاء فينظرون إلى النار، ويقربون منها، فيقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: أأذهبتم طيباتكم وأخذتم لذائذكم في الحياة الدنيا، وتلتمسون الفرج؟ هذا غير كائن[2].

وأن القراءة بالإخبار (أذهبتم) بمعنى: ويوم يعرض الذين كفروا على النار، فيرون سعيرها، ويقال لهم على سبيل الزجر والتأنيب: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، أي ضيعتم وأتلفتم الطيبات التي أنعم الله تعالى بها عليكم في حياتكم الدنيا حيث استمتعتم بها استمتاعاً دنيوياً دون أن تدخروا للآخرة منها شيئاً[3]. وفي هذا توبيخ وتقريع لهم أيضاً.

---

(١) غاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني العطار تحقيق د/ أشرف محمد فؤاد طلعت ٢٢٤/١ ط الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، وإتحاف فضلاء البشر ٤٧٢/٢ .

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٦٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٩/٤ ط مصطفى البابي الحلبي .

(٣) المصدران السابقان .

قال الفراء:(العرب توبخ بالاستفهام وبغيره، فالتوبيخ كائن على القراءتين)[1].

العلاقة بين القراءتين:

بإمعان النظر في القراءتين نلمح أن معناهما واحد، وذلك لأن الاستفهام إذا وجد هنا وُجد على التقرير، والتقرير إخبار في المعنى، فكأنهم يوبخون بهذا الذي يخبرون به ويبكتون، والمعنى في القراءتين يقال لهم، فحذف القول. والعرب ــ كما تقرر ــ توبخ بالاستفهام وبغيره، فالتوبيخ كائن على القراءتين إلا أن الاستفهام جاء لزيادة الإنكار والتوبيخ؛ إذ إنه أبين في توبيخ الكفار وتقريرهم على كفرهم. والله أعلم بكتابه

الموضع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الواقعة:٦٦].

تنوعت القراءات في قوله: (إنا):

فقرأ شعبة عن عاصم (أءنا) بهمزتين على الاستفهام مع التحقيق وعدم الإدخال، وقرأ الباقون (إنا) بهمزة واحدة على الخبر[2].

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن القراءة بالاستفهام (أءنا لمغرمون) تفيد الإنكار والجحود للعذاب والهلاك الذي يترل بالكافرين الجاحدين لكفرهم بِأَنْعُمِ الله تعالى عليهم .

وأن القراءة بالإخبار(إنا لمغرمون) تفيد هي الأخرى معنى الجحود كالاستفهام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ذلك القول منهم مضمر في القراءتين، والمعنى: فصرتم بسبب تحطيم زرعكم تتعجبون، قائلين أو تقولون على سبيل التحسر مؤكدين ذلك إعلاماً بشدة بأسهم: إنا أو أءنا لمهلكون بسبب هلاك أقواتنا من

---

(١) معاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ود/ عبد الفتاح شلبي ٣٩٤/٢ ط عالم الكتب ــ بيروت .

(٢) النشر ٣٧٢/١، وإتحاف فضلاء البشر ٥١٧/٢ .

الغرام بمعنى الهلاك، أو إنا لمصابون بالغرم والاحتياج والفقر بسبب ما أصاب زرعنا من الغرم وهو ذهاب المال بلا مقابل[١] .

العلاقة بين القراءتين:

مما سبق يتضح لنا أن القراءتين الواردتين في قوله: (إنا) تفيدان معنى الجحود والإنكار إلا أن قراءة الاستفهام (أءنا لمغرمون) جاءت صريحة لإنكار هذا الواقع والاستعظام له والتعجب منه، وهي أيضاً منبهة على أنهم لشدة اضطرابهم من ذلك الحادث مذبذبون تارة يجزمون باليأس والشر، وتارة يشكون فيه وينسبون الأمر إلى سوء تصرفهم وعليه يدل إضرابهم (بل نحن) أي خاصة[٢] .

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: "أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥" [القلم:١٤، ١٥] .

تنوعت القراءات في قوله: (أن كان) بين الاستفهام والإخبار: فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والكسائي وخلف العاشر (أن كان) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون وهم ابن عامر وشعبة وحمزة وأبو جعفر ويعقوب (ءأن كان) بهمزتين على الاستفهام، وقد حقق الهمزتين من المستفهمين شعبة وحمزة وروح، وسهل الهمزة الثانية مع الإدخال أبو جعفر وابن عامر بخلف عنه، وسهلها بدون إدخال رويس وهو الوجه الثاني لابن عامر[٣] .

الأثر المترتب على تنوع القراءتين:

إن القراءة بالاستفهام (ءأن كان) تحتمل وجهين:

---

(١) الكشف لمكي ٣٠٥/٢، وحاشية زاده على تفسير البيضاوي ٤٤٤/٤ ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت لبنان .

(٢) نظم الدرر ٤١٩/٧ .

(٣) غاية الاختصار ٢٢٤/١، ٢٢٥، والنشر ٣٦٧/٢، وإتحاف فضلاء البشر ٥٥٤/٢ .

أحدهما: أن يكون مراداً بالاستفهام تقريع وتوبيخ هذا الخلاف المهين، وعليه يكون المعنى: ألأن كان هذا الخلاف المهين ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أباطيل الأولين، أو يكون المعنى: أمن أجل أن كان ذا مال وبنين يكذب بآياتنا ويقول: هي أساطير الأولين[١] .

ثانيهما: أن يكون مراداً به ألأن كان ذا مال وبنين تطعه، أو أتطيعه لأن كان ذا مال وبنين. وذلك على وجه التوبيخ لمن أطاعه[٢] .

قال الإمام القرطبي: (فمن قرأ بهمزة مطولة أو بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ، ويحسن له أن يقف على (زنيم) [٣] ويبتديء (ءأن كان) على معنى ألأن كان ذا مال وبنين تطعه. ويجوز أن يكون التقدير: ألان كان ذا مال وبنين يقول إذا تتلى عليه آياتنا: أساطير الأولين !! ويجوز أن يكون التقدير: ألأن كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر، ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام)[٤] .

وأن القراءة بالإخبار (أن كان) معناها: أيكفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أنعم عليه بالأموال والبنين حيث جعل جزاء النعيم الكفر والجحود؟ فذلك لا ينفعه عند ربه، وهذا تقريع وتوبيخ على مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين بالكفر بآيات الله تعالى والإعراض عنها، أو يكون المعنى: يكفر لأن كان ذا مال وبنين .

ويلمح الإمام الزمخشري معنى آخر لهذه القراءة فيقول: (أن كان ذا مال) متعلق بقوله قبل ذلك "وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠" [القلم:١٠] أي ولا

---

(١) جامع البيان ١٨/٢٨، وشرح الهداية ٥٣٦/٢، والتفسير الكبير ٦٥٧/٣ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١٨ .

تطع من كانت هذه صفاته لكونه ذا مال وبنين فإن ماله وولده لن يغني عنه من الله تعالى شيئاً)[1].

هذا، ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن أن يقف على (زنيم)؛ لأن المعنى لأن كان أو بأن كان فـ«أن» متعلقة بما قبلها[2].

العلاقة بين القراءتين:

بالنظر إلى معنى القراءتين نلمح أن المراد بهما التوبيخ والتقريع على الخلال المهين وهو الوليد بن المغيرة حيث جعل مجازاة النعم التي خوّله الله تعالى من المال والبنين أن كفر به سبحانه وتعالى وبرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وما أقبح ما يجزي إنسان نعمة الله عليه بالمال والبنين؛ استهزاء بآياته وسخرية من رسوله صلى الله عليه وسلم واعتداءً على دينه.

وعلى كل فكلتا القراءتين تلوين في الأسلوب بين الاستفهام والإخبار ليكون ذلك أوقع في التوبيخ والتقريع مع زيادة ذلك في أسلوب الاستفهام الدال على ذلك صراحة.

والله أعلم بكتابه

(١) الكشاف ٤/٥٨٨.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ٢/٩٤٤ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

المبحث الثاني

الاستفهام المكرر

الاستفهام المكرر: هو ما اجتمع فيه استفهامان، وتغايرت قراءاته تغايراً منتشراً حيث حل في مواضعه من آي الذكر الحكيم، فيقرأ بعض القراء بالاستفهامين جميعاً، ويكتفي آخرون بالأول عن الثاني أو العكس.

ويأتي هذا النوع في أحد عشر[1] موضعاً من تسع سور من القرآن الكريم إليك بيانها:

الموضع الأول: في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية:٥].

الموضع الثاني والثالث: في سورة الإسراء في قوله عزوجل: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الآية:٤٩] وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الآية:٩٨].

الموضع الرابع: في سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الآية:٨٢].

الموضع الخامس: في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية:٦٧].

الموضع السادس: في سورة العنكبوت في قوله جل وعلا: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ

(١) وبعد كل موضع من الإحدى عشر موضعاً مثله، فيصير بحكم التكرير اثنين وعشرون موضعاً. غاية الاختصار ١/٢٣١، والنشر ١/٣٧٣.

مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ " [الآية:٢٨، ٢٩] .

الموضع السابع: في السجدة في قوله تعالى: وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ " [الآية:١٠] .

الموضع الثامن والتاسع: في سورة الصافات في قوله تعالى: أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾" [الآية:١٦] وقوله سبحانه: أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾" [الآية: ٥٣].

الموضع العاشر: في سورة الواقعة في قوله تعالى: وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾" [الآية:٤٧] .

الموضع الحادي عشر: في سورة النازعات في قوله عزوجل: يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ "[الآية:١٠، ١١].

** واختلاف القراء في هذه المواضع على ثلاثة أوجه: الإخبار بالأول والاستفهام بالثاني، وعكسه، والجمع بين الاستفهامين.

فأما **فوضع الرعد**، وموضعا الإسراء، وموضع المؤمنون، والسجدة، وثاني الصافات: فقرأها نافع والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الأول وبالإخبار في الثاني. وقرأها ابن عامر وأبو جعفر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، والباقون بالاستفهام فيهما.

وأما **موضع النمل**: فقرأه نافع وأبو جعفر بالإخبار في الأول، والاستفهام في الثاني. وقرأه ابن عامر والكسائي بالاستفهام في الأول، وبالإخبار في الثاني، وبزيادة نون في (أئنا لمخرجون)، والباقون بالاستفهام فيهما .

وأما **موضع العنكبوت**: فقرأه نافع، وابن كثير ، وابن عامر، وحفص، وكذا أبو جعفر، ويعقوب بالإخبار في الأول، والاستفهام في الثاني. والباقون بالاستفهام فيهما، فلا خلاف عنهم في الاستفهام في الثاني منهما.

وأما **الموضع الأول من الصافات** : فقرأه نافع، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب بالاستفهام في الأول، والإخبار في الثاني. وقرأه ابن عامر بالإخبار في الأول، والاستفهام في الثاني. والباقون بالاستفهام فيهما .

وأما **موضع الواقعة**: فقرأه نافع، والكسائي، وكذا أبو جعفر، ويعقوب، بالاستفهام في الأول، والإخبار في الثاني. والباقون بالاستفهام فيهما، فلا خلاف عنهم في الاستفهام في الأول.

وأما **موضع النازعات**: فقرأه نافع، وابن عامر، والكسائي، وكذا يعقوب، بالاستفهام في الأول، والإخبار في الثاني. وقرأ أبو جعفر وحده بالإخبار في الأول، والاستفهام في الثاني والباقون بالاستفهام فيهما[1].

ــ وكل من استفهم في حرف من هذه الاثنين والعشرين فإنه في ذلك على أصله من التحقيق والتسهيل وإدخال ألف للفصل بين الهمزتين وبناء على ذلك:

فقالون وأبو عمرو وأبو جعفر عند الاستفهام بهمزتين يسهلون الهمزة الثانية مع إدخال ألف للفصل، وورش وابن كثير ورويس يسهلون الهمزة الثانية مع عدم إدخال ألف للفصل، وابن ذكوان، وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر وكذا روح عن يعقوب عند الاستفهام يحققون الهمزتين بلا إدخال، وأما هشام فأكثر الطرق عنه على الفصل بالألف في هذا الباب أعني الاستفهامين، وبذلك قطع له صاحب التيسير والشاطبية وسائر المغاربة وأكثر المشارقة .. وذهب آخرون إلى إجراء الخلاف عنه في ذلك بين الإدخال وعدمه[2] .

---

(١) غاية الاختصار ٢٣٠/١ ومابعدها، والنشر ٣٧/١ وما بعدها، وإتحاف فضلاء البشر ١٨٦/١، وما بعدها .

(٢) المصادر السابقة .

الأثر المترتب على تنوع القراءات السابقة :

إن لكل قراءة من القراءات السابقة أثراً في المعنى، لذا كان للعلماء رؤيتان، تفرد بإحداهما الإمام أبو زرعة، ففرق بين أوجه قراءتها على الإخبار والاستفهام، ثم راح يلتمس لكل اختيار حجته، فكانت حجة من قرأ الأول على الخبر أن الاستفهام منهم على إحيائهم بعد الممات، ولم يستفهموا في كونهم أتراباً أو عظاماً ورفاتاً؛ لأنهم كانوا يعلمون أنهم يصيرون تراباً وعظاماً وما كانوا ينكرون، وإنما أنكروا البعث والنشور، فيجب على هذا أن يكون موضع الاستفهام في الكلمة الثانية، في قوله: (أئنا) لا الأولى ويكون المعنى: نبعث إذا كنا تراباً أو كنا تراباً وعظاماً ورفاتاً بعد ذلك لتعاد إلى الحياة مرة أخرى من جديد، وذهب كذلك إلى أن حجة من استفهم في الأول أن الاستفهام إذا دخل في أول الكلام أحاط بآخره .. وأخرى: لما كان أحد الاستفهامين علة للآخر كان المعني في أحدهما، وكان الآخر علة له يقع لوقوعه، ويرتفع بارتفاعه .. وكذلك كونهم تراباً أو عظاماً ورفاتاً وموتهم علة لإحيائهم ورجوعهم خلقاً جديداً، فلما كان ذلك كذلك جُعل الاستفهام لما هو سبب للإحياء وهو الموت والتراب .. أما من قرأ بالاستفهامين معاً فقد أعاده في موضعه الذي هو فائدة للسامعين في استفهامهم، والعرب إذا بدءوا بحرف قبل الموضع الذي أرادوا إيقاعه فيه أعادوه في موضعه[1] ... وقد قيل: إن الاستفهام الأول رد على كلام محذوف، كأنهم قالوا لهم: (إنكم مبعوثون بعد الموت) فردوا الاستفهام، وقالوا: (أئذا كنا تراباً ...)[2] ؟

ولكنها رؤية ــ على وجاهتها ــ قد شغلت نفسها بتصيد علل الاختيار والتفريق الوهمي بينها عن ملاحظة عنصر السياق الذي يشعرنا في كثير من الأحيان

---

(١) حجة القراءات ص٣٧٠-٣٧٢، ويراجع الموضع ٢/٧٠٠، وشرح الهداية ٢/٣٦٩ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/٦ .

بوجود لفظ الاستفهام ومفهومه الذي دار ــ حسبما يشير إليه مقام الخطاب ــ حول معاني الإنكار والاستبعاد والسخرية ممن يعتقد البعث والنشور بعد الموت والفناء .

وهذا ما لاحظته الرؤية الأخرى التي ارتآها معظم علماء القراءات، وأجملها الإمام مكي بن أبي طالب حين ذهب إلى أن حجة من استفهم في الأول والثاني أنه أتى بالكلام على أصله في التقرير والإنكار، أو التوبيخ بلفظ الاستفهام، ففيه معنى المبالغة والتوكيد، فأكد بالاستفهام هذه المعاني، وزاده توكيداً بإعادة لفظ الاستفهام في الثاني، فأجراهما مُجرى واحداً، وحجة من أخبر في أحدهما واستفهم في الثاني: أنه استغنى بلفظ الاستفهام في أحدهما عن الآخر؛ إذ دلالة الأول على الثاني كدلالة الثاني على الأول، وأيضاً دخل عليها حرف الاستفهام، فاستغنى عن الاستفهام في الثاني بالأول)[1] .

ويؤيده كذلك ما ذهب إليه أبو الفتح ابن جني في توجيه قراءة موضعي الواقعة بالإخبار كليهما؛ إذ جعل (مخرج هذا منهم على الهزء، وهذا كما تقول لمن تهزأ به: إذا نظرت إليَّ مُتُّ منك فَرَقاً، وإذا سألتك جَمَمتَ لي بحرا، أي: الأمر بخلاف ذلك، وإنما أقوله هازئاً ــ ويدل على هذا شاهد الحال حينئذ، ولولا شهود الحال لكان حقيقة لا عبثاً، فكأنه قال: إذا متنا وكنا تراباً بُعثنا. ودل قوله: (إنا لمبعوث) على بُعثنا)[2] .

وما شاهد الحال الذي عناه ابن جني ههنا إلا سياق الآية ومقامها الذي يشي بمعنى الإنكار والهزء والسخرية، وتلك معان لاشك أن القراء ــ علاوة على

---

(١) الكشف ٢/٢١ .

(٢) المحتسب لابن جني تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ٢/٣٠٩ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

اتباعهم الأثر ــ قد أدركوها إدراكاً في اختياراتهم، فاختار بعضهم القراءة بلفظ الاستفهام لاعتقاده بأنه الأنسب في تصوير هذه المعاني، واختار آخرون لفظ الإخبار تخفيفاً واتكالاً على أن قرائن الحال وطريقة أداء الآية عند تلاوتها تشعرنا بهذه المعاني، وتنقلها إلينا كاملة غير منقوصة، وطرائق الأداء هذه عُلِمَ بالتواتر أنها لا تنتقل من قارىء إلى آخر إلا بالمشافهة على يد مُقرىء محقق يتحمل القراءة ويجيد أداءها .

وخلاصة القول: أن الناظر في الآيات السابقة التي تكرر فيها الاستفهام عدا موضع العنكبوت قد تحدثت بقراءاتها المتنوعة عن أمر من أبرز الأمور التي ضلّت عنها أبصار المشركين وزاغت عنها عقولهم، ولم يمسكوا بخيط من خيوطها، وهم يدورون بأبصارهم في هذا الوجود أمرَ البعث، الذي لم يتصوروه، ولم يجدوا مساغاً في عقولهم، فأنكروه أشد الإنكار، ورأوا أنه مما يستحيل وقوعه .. إذ كيف يبعث الإنسان بعد أن يموت، ويتحول تراباً أو عظاماً ورفاتاً؟ تلك هي مضلّتهم، ومثار الوسوسة والبلبلة التي تضطرب في عقولهم، من أمر البعث .. فلو أنهم سلّموا بالبعث، لنازع هذا التسليم، بل وانتزعه من عقولهم، هذا الفهمُ السقيم لقدرة الله، التي يبدو لأنظارهم الكليلة منها، أنها أعجز من أن تعيد الحياة في هذا التراب الهامد، وتبعث الموتى من قبورهم على الحال التي كانوا عليها، بعد أن أبلاهم البِلَى، وصاروا عظاماً ورفاتاً وأكلهم التراب، وقد جاء هذا القول منهم في صورة هذا الاستفهام المكرر منهم بقراءاته المتعددة، للإشارة إلى أنه كان سؤالاً مردداً بينهم، يُلقى به بعضهم إلى بعض، في تساؤل منكر، وفي استفهام خبيث .

وما يلفت النظر أن منكري البعث أصروا على ذكر (إنَّ) في الاستفهام الثاني، ودخول (إنَّ) هذه تنافي مقصودهم الذي هو الإنكار، فكان الأولى بهم، وهم أرباب البيان أن لا يذكروها. فما السر في ذكرها إذاً ؟

والجواب: أنهم حين أخبروا بالبعث بعد الموت، أخبروا به مؤكداً، ولم يخبروا به مرسلاً، فمثلاً ورد في سورة الحج ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾ [الآية:٧] وفي سورة التغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [الآية:٧] فلما كان هذا التبليغ بالبعث مؤكداً أنكروه مؤكداً فأدخلوا (إنَّ) على المبتدأ لتوكيد جملة الخبر. ولو كانوا أنكروه غير مؤكد لكان ذلك قصوراً منهم في حق أنفسهم حب زعمهم[1] .

وعلى كل فإن تأكيدهم بـــ(إن) واسمية الجملة، ولام التوكيد ليس لتأكيد الإنكار كما قال بعضهم، بل لإنكار المؤكد؛ لأن الشرع أخبر بالبعث إخباراً مؤكداً .

أما موضع العنكبوت: وهو قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ﴾ [الآية: ٢٨، ٢٩] فقد جاء فيه ما يدل على إنكار الواقع المخزي الذي كان عليه قوم لوط، وهو فعلتهم القبيحة البالغة أقصى درجات القبح والفحش، والتي ما فعلها أحد قبلهم بل هم أول من ابتدعها وهي إتيان الذكور دون الإناث، ويرِدف على هذا الإنكار معان أخرى يوحى بها المقام بهذا الأسلوب القرائي، وهي: التوبيخ والزجر والاستقذار، وهذا خلاصة ما قيل وما يمكن أن يقال فيه[2] .

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم تأليف أ.د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني ٢٠٩/٢ بتصرف.

(٢) روح المعاني ١٥٣/٢٠ .

ولقد جاء قوله ــ عليه السلام ــ مؤكداً بجملة من المؤكدات وهي: توكيد الخبر هنا قبل دخول همزة الاستفهام عليه بـ«إن» واسمية الجملة ولام التوكيد، لتسجيل هذه الفاحشة عليهم بأقوى أسلوب، ولتشديد الإنكار وتقويته؛ ولأن إتيان الرجال كان واقعاً محققاً فدل عليه بكلام يطابق الواقع .

الخاتمـــة

بعد أن عشنا مع القرآن الكريم وطوفنا في أسلوبه القرائي بين الاستفهام والإخبار، ذلك الأسلوب الذي يدل على معنى جديد ناشئ بسبب اختلاف القراءات الواردة على الكلمة الواحدة؛ إذ بهذا التنوع في القراءة تتنوع المعاني على الموضع الواحد تبعاً لتعاقب أغراضه التي يحتملها سياقه ومقامه لتتجاوب طرائق الأداء مع الصياغة في إبراز هذا الوجه أو ذاك. كما أن القرآن الكريم بقراءاته الواردة في المكرر من الاستفهام يحكى لنا أقوال المنكرين للبعث في مواقف تمتليء نفوسهم فيها بانفعالات مختلفة فيها الإنكار والتعجب والسخرية والاستبعاد والعناد وغير ذلك، فكان كلامهم الذي يصدر عنهم حينئذ مشحوناً بتلك الانفعالات، وأسلوب الاستفهام المكرر وما فيه من تنوع القراءات أقدر أساليب الكلام على أداء ما تجيش به النفس من انفعال، ويتصدى القرآن الكريم لهؤلاء الكفار راداً عليهم مطابقاً أسلوبه أسلوبهم، ملاقياً فيضهم النفسي الزاخر بفيض مثله: يشتمل على الإنكار والتعجيب والتقبيح والتهكم والتقرير والتوبيخ والوعيد وغير ذلك ..

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل على ما هدى ويسر، وأن ينفع بهذا العمل الخالص لوجهه الكريم، وأن يبارك ما فيه من صواب، وأن يعفو عن الخطأ إن كان، والسهو والغفلة والنسيان، فاللهم اغفر وارحم، وأنت الغفور الرحيم، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد في الأولين والآخرين، وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهـرس المراجـع

١- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: للعلامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة (ت:٦٦٥هـ) ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٤٩هـ .

٢- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: للعلامة أحمد بن عبد الغني الدمياطي (ت:١١١٧هـ) بتحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل ط/ عالم الكتب ـ مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٣- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ط/ الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية .

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ) ط/ دار الفكر .

٥- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: للدكتور/ صباح عبيد دراز ط الأمانة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٦- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: لتاج الدين محمود بن حمزة الكرماني (ت:٥٠٥هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا ط/ دار الفضيلة ـ القاهرة .

٧- إعراب القراءات السبع وعللها: لأبي عبد الله الحسين بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ط المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر ـ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

٨- الإقناع في القراءات السبع: لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري بن الباذش (ت: ٥٤٠هـ) تحقيق د/ عبد المجيد قطاش ط دار الفكر ـ دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٩- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

١٠- البحر المحيط: للإمام أبي حيان الغرناطي أبي عبد الله محمد بن يوسف بن حبان (ت: ٧٤٥هـ) ط/ السعادة مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ.

١١- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرين، ط/ دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

١٢- التحرير والتنوير: تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس .

١٣- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: تأليف أ.د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني ط/ مكتبة وهبة .

١٤- تفسير القرآن العظيم: للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ط/ عيسى البابي الحلبي .

١٥- التفسير الكبير: للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسيني بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤هـ) الناشر دار الغد العربي الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

١٦- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية: للدكتور/ أحمد سعد محمد الناشر مكتبة الآداب الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

١٧- جامع البيان في تفسير القرآن: للإمام محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ط/ دار المعرفة بيروت ـ لبنان .

١٨- الجامع لأحكام القرآن: للإمام أبي الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م .

١٩- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تأليف الشيخ المرحوم أحمد الهاشمي ط/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٢٠- حاشية الشهاب المسماة عناية القاض وكفاية الراضي: للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

٢١- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد. تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني ط/ دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٢٢- حجة القراءات: للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة تحقيق سعيد الأفغاني ط/ دار الكتب المصرية ـ المكتبة العلمية سنة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .

٢٣- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ) تحقيق د/ محمد علي النجار ط/ دار الكتب المصرية ـ المكتبة العلمية سنة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .

٢٤- درة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ) برواية ابن أبي الفرج الأردستاني ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل السيد محمد الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٢٦- السبعة في القراءات: لأحمد بن موسى بن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) تحقيق شوقي ضيف ط/ دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ .

٢٧- شرح الإمام الزبيدي: للشيخ عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري الزبيدي (ت: ٨٤٨هـ) على متن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر: للحافظ أبي الخير ابن الجزري تحقيق عبد الرازق علي إبراهيم موسى ط/ الدار النموذجية ـ المطبعة العصرية بيروت ـ صيدا .

٢٨- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان: لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ط الشرقية في مصر بخان أبي طاقية الطبعة الأولى سنة ١٣٠٥هـ.

٢٩- شرح الهداية: للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت: ٤٤٠هـ) تحقيق د/ حازم سعد حيدر ط/ مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٣٠- الصاحبي في فقه اللغة: لأحمد بن فارس اللغوي (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق السيد أحمد صقر ط/ دار إحياء التراث العربي (عيسى البابي الحلبي) سنة ١٩٧٧م .

٣١- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ليحيى بن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥هـ) ط/ دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨٢م .

٣٢- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: تأليف د/ بسيوني عبد الفتاح فيود ط/ دار المعالم الثقافية .

٣٣- غاية الاختصار في قراءات العشر أئمة الأمصار: للإمام المقرئ الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني العطار (ت: ٥٦٩هـ) تحقيق د/ أشرف محمد فؤاد طلعت ط/ مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي بمصر سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

٣٤- فتح البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري (ت: ١٣٠٧هـ) تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ط/ إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

٣٥- الفريد في إعراب القرآن المجيد: للمنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني (ت: ٦٤٣هـ) تحقيق د/ فهمي حسن النمر، ود/ فؤاد علي مخيمر، ط/ الدوحة دار الثقافة .

٣٦- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: للإمام العالم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ط/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

٣٧- في ظلال القرآن: للشيخ سيد قطب ط/ دار الشروق بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية عشرة سنة ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ .

٣٨- الكتاب: كتاب سيبويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م .

٣٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٢٨هـ) ط/ دار الريان للتراث الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٤٠- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) تحقيق د/ محي الدين رمضان ط/ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٤١- لسان العرب: لجمال الدين محمد بن مكرم، المعروف بابن منظور (ت: ٧٢٥هـ) ط/ دار المعارف القاهرة .

٤٢- المبسوط القراءات العشر: لأبي بكر بن مهران (ت: ٣٨١هـ) تحقيق سبيع حمزة حاكمي ط/ دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة ـ مؤسسة علوم القرآن ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ .

٤٣- مجاز القرآن: لأبي عبيدة تحقيق د. محمد فؤاد سزكين ط/ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

٤٤- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢) تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور/ عبد الحليم النجار، والدكتور/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

٤٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية أبو محمد عبد الحق غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد طه ط/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٤٦- مختار الصحاح: للعلامة محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ) ط/ الناشر دار الرسالة ـ الكويت سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٤٧- مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي: للدكتور/ محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ط/ السعادة ـ بالقاهرة سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .

٤٨- معاني القرآن: لأبي زكريا الفراء (ت: ٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، والدكتور/ عبد الفتاح شلبي ط/ عالم الكتب ـ بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م .

٤٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن: للعلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت: ٩١١هـ) ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين ط/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

٥٠- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: إعداد الدكتورة/ إنعام فوّال عكّاوي، مراجعة أحمد شمس الدين ط/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

٥١- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: تأليف د/ أحمد مطلوب ط/ المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٥٢- مفتاح العلوم: للإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاد بمصر الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

٥٣- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسيني بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٥٤- منار الهدي في بيان الوقف والابتدا: تأليف أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

٥٥- مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط/ دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي .

٥٦- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لشيخ الإقراء في زمانه الإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) ط/ دار زاهد القدسي .

٥٧- الموضح في وجوه القراءات وعللها: للإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي المعروف بابن أبي مريم الفسوي المتوفي بعد (٥٦٥هـ) تحقيق د/ عمر حمدان الكبيسي ط/ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ـ بجدة الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٥٨- النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ط/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

٥٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب المهدي ط/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

فهـرس الموضوعـات

الفهـــــرس الصفحة

مقدمة ٣

تمهيد بين يدي البحث ٦

* مفهوم القراءات ٧

* مفهوم الاستفهام ٨

* مفهوم الإخبار ٩

* أدوات الاستفهام وأقسامها بحسب الطلب ١٠

* أغراض الاستفهام ودلالاته ١٦

المبحث الأول: «تغاير القراءات بين الاستفهام والإخبار» ٣١

الموضع الأول: قوله تعالى: وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ....." [آل عمران: ٧٣] ٣١

الموضع الثاني: قوله تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ " [الأعراف: ٨٠، ٨١] ٣٥

الموضع الثالث: قوله تعالى: : وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾" [الأعراف: ١١٣] ٣٧

الموضع الرابع: قوله تعالى: .... ءَامَنتُم ....." [الأعراف: ١٢٣] و[طه: ٧١] و [الشعراء: ٤٩] ٣٩

الموضع الخامس: قوله تعالى: .... قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ...." [يونس: ٨١] ٤٣

الموضع السادس: قوله تعالى: قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ " [يوسف: ٨٩، ٩٠] ٤٧

الموضع السابع: قوله تعالى: وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾" [مريم: ٦٦] ٥١

الموضع الثامن: قوله تعالى: أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ " [الصافات: ١٥١، ١٥٢، ١٥٣] ٥٣

الموضع التاسع: قوله تعالى: أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾" [ص: ٦٣] ٦٥

الموضع العاشر: قوله تعالى: وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ " [فصلت: ٤٤] ٥٩

الموضع الحادي عشر: قوله تعالى: وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا" [الأحقاف: ٢٠] ٦١

الموضع الثاني عشر: قوله تعالى: إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾" [الواقعة: ٦٦] ٦٣

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾" [القلم: ١٤] ٦٤

المبحث الثاني: الاستفهام المكرر ٦٧

الخاتمة ٧٥

فهرس المراجع ٧٦

فهرس الموضوعات ٨٤